

محمود درویش

لا تعتذر عما فعلت^{١٣}



Al-Naqurah Press
AL-NAQURAH PRESS BOOKS

Facebook : La culture ne s'hérite pas elle se conquiert

منتديات
الكوكب العاشر

لا تعتذر عما فعلت

محمود درویش
لا تعتذر عما فعلت

القصائد

- I - في شهوة الإيقاع
- ١٣ 1 - يختارني الإيقاع
 - ١٥ 2 - لي حكمة المحكوم بالإعدام
 - ١٧ 3 - سيحيي يوم آخر
 - ١٩ 4 - وأنا، وإن كنت الأخير
 - ٢١ 5 - في بيت أُمي
 - ٢٣ 6 - لا تعتذر عما فعلت
 - ٢٥ 7 - في مثل هذا اليوم
 - ٢٧ 8 - أنزل هنا والآن
 - ٢٩ 9 - إن عدت وحدك
 - ٣١ 10 - لم أعتذر للبئر
 - ٣٣ 11 - لا راية في الريح
 - ٣٥ 12 - سقط الحصان عن القسيمة
 - ٣٧ 13 - لبلادنا
 - ٣٩ 14 - ولنا بلاد
 - ٤١ 15 - لا شيء إلا الضوء
 - ٤٣

- ٤٥ - 16 - نرف الحبيب شقائق النعمان
- ٤٧ - 17 - في القدس
- ٤٩ - 18 - بغيا بها كوّنت صورتها
- ٥١ - 19 - الأربعاء، الجمعة، السبت
- ٥٣ - 20 - زيتونتان
- ٥٧ - 21 - لا ينظرون وراءهم
- ٥٩ - 22 - لم يسألوا: ماذا وراء الموت
- ٦١ - 23 - قتلى ومجهولون
- ٦٣ - 24 - السرورة انكسرت
- ٦٥ - 25 - رجل وخشف في الحديقة
- ٦٩ - 26 - هذا هو النسيان
- ٧١ - 27 - تُنسى، كأنك لم تكن
- ٧٥ - 28 - أما أنا، فأقول لاسمي
- ٧٩ - 29 - الحلم، ما هو؟
- ٨١ - 30 - الآن إذ تصحو، تذكّر
- ٨٣ - 31 - الظلّ
- ٨٥ - 32 - لا شيء يعجبني
- ٨٧ - 33 - هو هادئ وأنا كذلك
- ٨٩ - 34 - وصف الغيوم
- ٩٣ - 35 - هي جملة اسمية
- ٩٥ - 36 - قل ما تشاء
- ٩٧ - 37 - لا تكتب التاريخ شعراً
- ١٠١ - 38 - ماذا سيبقى
- ١٠٣ - 39 - لا أعرف اسمك
- ١٠٥ - 40 - هي في المساء
- ١٠٩ - 41 - في الانتظار

- ١١١ 42 - لو كنتُ غيري
١١٣ 43 - شكراً لتونس
١١٥ 44 - لي مقعد في المسرح المهجور
١١٧ 45 - في الشام
١١٩ 46 - في مصر
١٢١ 47 - أتذكر الشَّباب
- ١٢٣ II - طريق الساحل
١٣١ III - لا كما يفعل السائح الأجنبي
١٣٩ IV - بيت من الشعر/ بيت الجنوبي
١٤٩ V - كحادثة غامضة
١٥٧ VI - ليس للكردى إلاّ الريح

مكتبات
الكويت
العاشر

توارد خواطر، أو توارد مصائر:

لا أَنْتِ أَنْتِ
ولا الديارُ ديارُ
[أبو تمام]

والآن، لا أنا أنا
ولا البيتُ بيتي
[لوركا]

مختبرات
الكمبيوتر
العاشر

منتديات
الكويت
العاشرة

I

في شهوة الإيقاع

مختبرات
الكمبيوتر
العاشر

يختارني الإيقاع

يُخْتَارُنِي الإِيْقَاعُ، يَشْرِقُ بِي
أَنَا رَجْعُ الْكَمَانِ، وَلَسْتُ عَازِفُهُ
أَنَا فِي حَضْرَةِ الذِّكْرَى
صَدَى الْأَشْيَاءِ تَنْطِقُ بِي
فَأَنْطِقُ ...

كُلَّمَا أَصْغَيْتُ لِلْحَجَرِ اسْتَمَعْتُ إِلَى
هَدِيلِ يَمَامَةِ بِيضَاءِ

تَشْهَقُ بِي:

أَخِي! أَنَا أُخِثُّكَ الصُّغْرَى،
فَأَذْرِفُ بِاسْمِهَا دَمْعَ الْكَلَامِ
وَكُلَّمَا أَبْصَرْتُ جَذَعَ الزُّنْزُلُخْتِ
عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى الْغَمَامِ،

سمعتُ قلبَ الأمِّ

يخفقُ بي:

أنا امرأةٌ مُطلَّقةٌ،

فألعن باسمها زيرَ الظلامِ

وكُلِّما شاهدتُ مرآةً على قمرٍ

رأيتُ الحبَّ شيطاناً

يُحمِلُني:

أنا ما زِلْتُ موجوداً

ولكن لن تعود كما تركتُك

لن تعود، ولن أعودَ

فيكملُ الإيقاعُ دَوْرَتَهُ

ويشرقُ بي ...

2

لي حكمة المحكوم بالإعدام

لِي حِكْمَةُ المحكوم بالإعدام:
لا أَشْيَاءَ أملكها لتملكني،
كتبْتُ وصيِّي بدمي:
«ثَقُوا بالماء يا سُكَّانَ أُغْنِيَتِي!»
وَنَمْتُ مُضَرَّجًا وَمُتَوَّجًا بغدي ...
حَلِمْتُ بأنَّ قلب الأرض أكبرُ
من خريطتها،
وأوضح من مراياها وَمِشْنَقَتِي.
وَهَمْتُ بغيمةٍ بيضاء تأخذني
إلى أعلى
كأنني هُذْهُدٌ، والريخُ أَجْنَحَتِي.
وعند الفجر، أيقظني

نداء الحارس الليلي
من حلمي ومن لغتي:
ستحيا مئة أخرى،
فعدّل في وصيتك الأخيرة،
قد تأجل موعد الإعدام ثانية
سألت: إلى متى؟
قال: انتظر لتموت أكثر
قلت: لا أشياء أملكها لتملكني
كتبْتُ وصيَّتي بدمي:
«ثَقُوا بالماء
يا سُكَّانُ أغنيَّتي!»

سيجيء يوم آخر

سيجيء يوم آخر، يوم نسائي
 شفيف الاستعارة، كامل التكوين،
 ماسي زفافي الزيارة، مُشمس،
 سلس، خفيف الظل. لا أحد يُحس
 برغبة في الانتحار أو الرحيل. فكل
 شيء، خارج الماضي، طبيعي حقيقي،
 رديف صفاته الأولى. كأن الوقت
 يرقد في إجازته... «أطيلي وقت زيتك
 الجميل. تشمسي في شمس نهديك الحريريين،
 وانتظري البشارة ريثما تأتي. وفي ما
 بعد نكبر. عندنا وقت إضافي
 لنكبر بعد هذا اليوم...»/

سوف يجيء يومٌ آخرٌ، يومٌ نسائي
غنائي الإشارة، لازورديّ التحية
والعبارة. كُلُّ شيءٍ أنثويّ خارج
الماضي. يَسِيلُ الماءُ من ضرعِ الحجارَةِ.
لا عُبارَ، ولا جَفَافَ، ولا خسارَةَ.
والحمامُ ينامُ بعد الظهر في دَبَابَةِ
مهجورةٍ إن لم يجد عُشّاً صغيراً
في سريرِ العائِثَيْنِ ...

حبيب العائش

4

وأنا، وإن كنت الأخير

وأنا، وإن كُنْتُ الأخير،
وَجَدْتُ ما يكفي من الكلمات ...
كُلُّ قصيدة رَسَمَ
سأرسم للسنونو الآن خارطة الربيع
وللمُشاة على الرصيف الزيزفون
وللنساء اللازورد ...
وأنا، سيحملني الطريق
وسوف أحمله على كتفي
إلى أَنْ يستعيدَ الشيء صورته،
كما هي،
واسمه الأصلي في ما بعد/

كُلُّ قَصِيدَةٍ أُمُّ
تَفْتَشُ لِلسَّحَابَةِ عَنْ أَخِيهَا
قَرَبَ بَثْرِ الْمَاءِ:
«يَا وَلَدِي! سَأُعْطِيكَ الْبَدِيلَ
فَإِنِّي حُبْلَى ...»/
وَكُلُّ قَصِيدَةٍ حُلْمٌ:
«حَلِمْتُ بِأَنْ لِي حَلْمًا»
سَيَحْمِلُنِي وَأَحْمِلُهُ
إِلَى أَنْ أَكْتُبَ السَّطْرَ الْأَخِيرَ
عَلَى رِخَامِ الْقَبْرِ:
«نَمْتُ ... لَكِي أَطِير»

... وَسَوْفَ أَحْمِلُ لِلْمَسِيحِ حِذَاءَهُ الشَّتَوِيَّ
كَيْ يَمْشِيَ، كَكُلِّ النَّاسِ،
مِنْ أَعْلَى الْجِبَالِ ... إِلَى الْبَحِيرَةِ

في بيت أمي

في بيت أمي صُورَتِي ترنو إلي
ولا تكفُ عن السؤال:
أأنت، يا ضيفي، أنا؟
هل كنتَ في العشرين من عُمرِي،
بلا نظارةَ طبيّة،
وبلا حقائب؟
كان تُقَبُّ في جدار السور يكفي
كي تعلّمك النجومُ هوايَةَ التحديقِ
في الأبدِيّ ...
[ما الأبدِيّ؟ قُلْتُ مخاطباً نفسي]
ويا ضيفي ... أأنتَ أنا كما كنا؟
فَمَنْ مِنّا تنصّلَ من ملامِحِهِ؟

أَتَذْكُرُ حَافِزَ الْفَرَسِ الْحَرُونَ عَلَى جَبِينِكَ
 أَمْ مَسَّحْتَ الْجُرُوحَ بِالْمَكْيَاجِ كَيْ تَبْدُو
 وَسِيمَ الشَّكْلِ فِي الْكَامِيرِ؟
 أَنَا أَنَا؟ أَتَذْكُرُ قَلْبَكَ الْمُثْقَبَ
 بِالنَّايِ الْقَدِيمِ وَرِيْشَةِ الْعَنْقَاءِ؟
 أَمْ غَيَّرْتَ قَلْبَكَ عِنْدَمَا غَيَّرْتَ دَرْبَكَ؟

قلت: يا هذا، أَنَا هُوَ أَنْتِ
 لَكِنِّي قَفَزْتُ عَنِ الْجِدَارِ لَكِي أَرَى
 مَاذَا سَيَحْدُثُ لَوْ رَأَيْتِ الْغَيْبَ أَقْطِفُ
 مِنْ حَدَائِقِهِ الْمُعْلَقَةِ الْبِنْفَسَجَ بِاحْتِرَامٍ ...
 رُبَّمَا أَلْقَى السَّلَامَ، وَقَالَ لِي:
 عُدْ سَالِمًا ...

وقفزت عن هذا الجدار لَكِي أَرَى
 مَا لَا يُرَى
 وَأَقْيَسَ عُمُقِ الْهََاوِيَةِ

6

لا تعتذر عما فعلت

لا تعتذر عما فعلت - أقول في
سري. أقول لآخري الشخصي:
ها هي ذكرياتك كلها مرئية:
صَجِرُ الظهيرة في نَعاسِ القطْ/
عُزْفُ الديك/
عطرُ المريميَّة/
قهوة الأم/
الحصيرة والوسائد/
بابُ عُزْفَتِكَ الحديديُّ/
الذباةُ حول سقراط/
السحابةُ فوق أفلاطون/
ديوانُ الحماسة/

صورة الأب/

مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ/

شيكسبير/

الأشقاء الثلاثة، والشقيقات الثلاث،
وأصدقاءك في الطفولة، والفضوليون:
«هل هذا هو؟» اختلف الشهود:
لعله، وكأنه. فسألت: «مَنْ هُو؟»
لم يُجيبوني. هَمَسْتُ لآخري: «أهو
الذي قد كان أنت ... أنا؟» فغضَّ
الطرف. والتفتوا إلى أُمِّي لتشهد
أَنِّي هُو ... فاستعدت للغناء على
طريقتها: أنا الأم التي ولدته،
لكنَّ الرياح هي التي رَبَّته.
قلت لآخري: لا تعتذر إلا لأُمِّك!

7

في مثل هذا اليوم

في مثل هذا اليوم، في الطُّرْف الخفي
 من الكنيسة، في بهاء كامل التأنيث،
 في السنة الكبيسة، في التقاء الأخضر
 الأبدّي بالكُحليّ في هذا الصباح، وفي
 التقاء الشكل بالمضمون، والحسيّ بالصوفيّ،
 تحت عريشة فضفاضة في ظلّ دوريّ
 يوتّر صورة المعنى، وفي هذا المكان
 العاطفيّ /

سألتقي بنهايتي وبدايتي
 وأقول: ويحكما! خذاني وأتركنا
 قلب الحقيقة طازجاً لبنات آوى الجماعات،
 أقول: لستُ مواطناً

أو لاجئاً
وأريد شيئاً واحداً، لا غير،
شيئاً واحداً:
موتاً بسيطاً هادئاً
في مثل هذا اليوم،
في الطرف الخفي من الزنابق،
قد يُعوّضني كثيراً أو قليلاً
عن حياة كنت أُخصيها
دقائق
أو رحيلاً
وأريد موتاً في الحديقة
ليس أكثر أو أقل!

أنزل، هنا، والآن

أنزل، هنا، والآن، عن كَيْفَيْكَ قَبْرِكَ
وأعطِ عُمرَكَ فُرْصَةً أُخرى لترميم الحكاية
ليس كُلُّ الحُبِّ موتاً
ليستِ الأرضُ اغتراباً مزمناً،
فلربما جاءت مناسبةٌ، فتنسى
لَشَعَّةَ العَسلِ القديمِ، كأنَّ تحبَّ
وأنت لا تدري فتاةً لا تحبُّكَ
أو تحبُّكَ، دون أن تدري لماذا
لا تحبُّكَ أو تحبُّكَ/
أو تحسُّ وأنت مُسْتَنِدٌّ إلى دَرَجٍ
بأنك كنتَ غيرك في الشائيات/
فاخرج من «أنا» كَ إلى سواكَ

ومن رُؤَاكَ إلى خُطَاكَ
ومُدَّ جَسْرَكَ عَالِيَا،
فاللامكانُ هُوَ المكيدهُ،
والبُعُوضُ على السياجِ يَحْكُ ظَهْرَكَ،
قد تذكُرُكَ البُعُوضَةُ بالحياة!
فجربِ الآنَ الحياةَ لكي تُدْرِكَ الحياةَ
على الحياةِ،
وخفِّفِ الذكري عن الأنثى
وَأَنْزِلْ
ها هنا
والآنَ
عن كتفِكَ ... قَبْرِكَ!

إن عدت وحدك

إن عُدْتَ وَحَدَكَ، قُلْ لِنَفْسِكَ:
غَيِّرِ المنفى ملامحه ...
أَلَمْ يَفْجِعْ أَبُو تَمَّامٍ قَبْلَكَ
حِينَ قَابَلَ نَفْسَهُ:
«لَا أَنْتِ أَنْتِ
وَلَا الدِّيَارُ هِيَ الدِّيَارُ»...

ستحمل الأشياءُ عنك شعوركَ الوطني:
تنبتُ زهرةٌ بريّةٌ في ركنك المهجور/
ينقرُّ طائرُ الدوري حَرْفَ «الحاء»،
في اسمك،
في لحاءِ التَّيْنَةِ المكسورِ/

تَلَسَّعْ نَحْلَةً يَدَكَ الَّتِي امْتَدَّتْ
إِلَى زَعْبِ الْإِوَزَةِ خَلْفَ هَذَا السُّورِ/

أَمَّا أَنْتِ،
فَالْمَرَأَةُ قَدْ خَذَلْتِكِ،
أَنْتِ ... وَلَسْتَ أَنْتِ، تَقُولُ:
«أَيْنَ تَرَكْتِ وَجْهِي؟»
ثُمَّ تَبْحَثُ عَنْ شَعُورِكَ، خَارِجَ الْأَشْيَاءِ،
بَيْنَ سَعَادَةٍ تَبْكِي وَإِحْبَاطٍ يُفْهِّمُهُ ...
هَلْ وَجَدْتَ الْآنَ نَفْسَكَ؟
قَلْ لِنَفْسِكَ: عُدْتُ وَحْدِي نَاقِصًا
قَمَرَيْنِ،
لَكِنَّ الدِّيَارَ هِيَ الدِّيَارُ!

لم أعتذر للبئر

لم أعتذر للبئر حين مَرَزْتُ بالبئر،
 استعرت من الصَّنَوْبَةِ العتيقة غيمةً
 وعَصَرْتُها كالبرتقالة، وانتظرتُ غزالة
 بيضاء أسطورية. وأمَرْتُ قلبي بالترث:
 كُنْ حياديًّا كأنك لَسْتَ مني! ها هنا
 وقف الرعاة الطيبون على الهواء وطُوروا
 النايات، ثم استدرجوا حَجَلَ الجبال إلى
 الفخاخ. وها هنا أَسْرَجْتُ للطيران نحو
 كواكبي فَرَسًا، وطَرْتُ. وها هنا قالت
 لي العرَّافة: احذرْ شارع الإسفلت
 والعرباتِ وأمَشِ على زفيرك. ها هنا
 أرخيتُ ظِلِّي وانتظرتُ، آخَرْتُ أَصْغَرَ

صخرةً وَسَهْوَتْ. كَسَّرَتْ الخرافة وانكسرت.
وَدُزَّتْ حول البئر حتى طُرْتُ من نفسي
إلى ما ليس منها. صاح بي صوتٌ
عميقٌ: ليس هذا القبرُ قَبْرُكَ، فاعتذرت.
قرأت آيات من الذكر الحكيم، وَقُلْتُ
للمجهول في البئر: السلام عليك يوم
قُتِلَتْ في أرض السلام، وَيَوْمَ تَصْعَدُ
من ظلام البئر حيًّا!

11

لا راية في الريح

لا راية في الريح تخفق/
لا حصان سابح في الريح/
لا طبل يُسَرُّ بارتفاع الموج
أو بهبوطه،
لا شيء يحدث في التراجيديا هذا اليوم/
أشدلت الستارة/
غادر الشعراء والمتفرجون،
فلا أرز/
لا مظاهرة/
ولا أغصان زيتون تُحَيِّ الهابطين
من المراكب مُتَعَبِينَ من الرُعافِ
وخفة الفصل الأخير/

كَأَنَّهُمْ يَأْتُونَ مِنْ قَدَرٍ إِلَى قَدَرٍ /
مَصَائِرُهُمْ مُدَوَّنَةٌ وَرَاءَ النَّصِّ،
إِغْرِيقِيَّةٌ فِي شَكْلِ طُرُودِيَّةٍ،
بِيضَاءَ، أَوْ سُدَاءَ /

لَا انكسروا وَلَا انتصروا
وَلَمْ يَتَسَاءَلُوا: مَاذَا سَيَحْدُثُ فِي صَبَاحِ غَدٍ
وَمَاذَا بَعْدَ هَذَا الْإِنْتِظَارِ الْهَوْمِيرِيِّ؟ /
كَأَنَّهُ حُلُمٌ جَمِيلٌ يُنْصَفُ الْأَسْرَى
وَيُسْعِفُهُمْ عَلَى اللَّيْلِ الْمَحَلِّيِّ الطَّوِيلِ،
كَأَنَّهُمْ قَالُوا:

« نُدَاوِي جَرَحْنَا بِالْمَلْحِ »
« نَحْيَا قَرَبَ ذَكَرَانَا »
« نَجْرِبُ مَوْتَنَا الْعَادِيَّ »
« نَنْتَظِرُ الْقِيَامَةَ، هَهُنَا، فِي دَارِهَا »
« فِي الْفَصْلِ مَا بَعْدَ الْأَخِيرِ... »

12

سقط الحصان عن القصيدة

سَقَطَ الحصانُ عن القصيدةِ
والجليلياتُ كُنَّ مُبَلَّلَاتٍ
بالفراشِ وبالندى،
يَرْقُصْنَ فوق الأفحوانِ

□

الغائبان: أنا وأنتِ
أنا وأنتِ الغائبانِ

□

زوجا يمام أبيضانِ
يَتَسَامِرانِ على عُصون السنديانِ

□

لا حُبِّ، لكني أُحِبُّ قصائدَ
الحبِّ القديمة، تحرسُ
القَمَرِ المريضِ من الدخانِ

□

كُرِّ وفَرِّ، كالكَمَنْجَةِ في الرباعياتِ
أَنَأَى عن زماني حينَ أدنو
من تضاريس المكانِ ...

□

لم يَتَّقَ في اللغة الحديثةِ هامشُ
للاحتفاء بما نحبُّ،
فكُلُّ ما سيكونُ ... كانُ

□

سقط الحصان مُضَرَّجاً
بقصيدتي
وأنا سقطتُ مُضَرَّجاً
بذمِ الحصانِ ...

13

لبلادنا

لبلادنا،

وهي القرية من كلام الله،

سقف من سحب

لبلادنا،

وهي البعيدة عن صفات الاسم،

خارطة الغياب

لبلادنا،

وهي الصغيرة مثل حبة شمس،

أفق سماوي ... وهاوية خفية

لبلادنا،

وهي الفقيرة مثل أجنحة القطا،

كُتب مقدسة ... وجرح في الهوية

لبلادنا،
وهي المطوّقة الممرّقة التلال،
كمائنُ الماضي الجديد
لبلادنا، وهي السَّيِّئَةُ
حُرْيَةُ الموت اشتياقاً واحتراقاً
وبلادنا، في ليلها الدمويّ
جوهرَةٌ تشعُّ على البعيد على البعيد
تُضيء خارجها ...
وأما نحن، داخلها،
فنزدادُ اختناقاً!

14

ولنا بلاد

ولنا بلادٌ لا حُدُودَ لها، كفكرتنا عن
المجهول، ضيقةٌ وواسعةٌ. بلادٌ ...
حين نمشي في خريطتها تضيقُ بنا،
وتأخذنا إلى نَفَقِ رمادي، فنصرخ
في متاهتها: وما زلنا نحُبُّكَ. حُبُّنا
مَرَضٌ وراثيٌّ. بلادٌ ... حين
تبتدنا إلى المجهول ... تكبرُ. يكبرُ
الصفصافُ والأوصافُ. يكبرُ عُشْبُهَا
وجبالُها الزرقاءُ. تَتَّسِعُ البحيرةُ في
شمالِ الروح. ترتفعُ السنابلُ في جنوب
الروح. تلمعُ حَبَّةُ الليمون قنديلاً
على ليل المُهاجِر. تسطعُ الجغرافيا

كُتِبَ مُقَدَّسَةً. وسلسلة التلال
تصير معراجاً، إلى الأعلى ... إلى الأعلى.
«لو أَنِّي طائرٌ لحرقْتُ أَجنحتي» يقول
لنفسه المنفي. رائحة الخريف تصير
صورة ما أَحَبُّ ... تسرَّبَ المطرُ
الخفيفُ إلى جفاف القلب، فانفتح الخيالُ
على مصادره، وصار هو المكان، هو
الحقيقي الوحيد. وكلُّ شيء في
البعيد يعود ريفياً بدائياً، كأنَّ الأرضَ
ما زالت تكون نفسها للقاء آدم، نازلاً
للطابق الأرضي من فردوسه. فأقول:
تلك بلادنا حُبلى بنا ... فمتى وُلِدْنَا؟
هل تزوج آدم امرأتين؟ أم أنا
سئولُ مرةً أخرى
لكي ننسى الخطيئة؟

15

لا شيء إلا الضوء

لا شيء إلا الضوء،
لم أوقف حصاني
إلا لأقطف وردة حمراء من
بُستان كنعانية أغوث حصاني
وتحصّنت في الضوء:
«لا تدخل ولا تخرج» ...
فلم أدخل، ولم أخرج
وقالت: هل تراني؟
فهمست: ينقصني، لأعرف، فارق
بين المسافرين والطريق، وفارق
بين المغني والأغاني ...
جلست أريحا، مثل حرف

من حروف الأبجدية، في أسمها
وَكَبُوتُ في أسمي
عند مُفْتَرَقِ المعاني ...
أنا ما أكونُ غداً
ولم أوقفُ حصاني
إلا لأقطفَ وردةَ حمراءَ من
بستانِ كُنْغَانِيَّةِ أغوثِ حصاني
ومضيتُ أبحثُ عن مكاني
أعلى وأبعدَ،
ثم أعلى ثم أبعدَ،
من زماني ...

نَرْفُ الحبيبِ شقائق النعمان

نَرْفُ الحبيبِ شقائق النُّعْمَانِ،
أَرْضُ الأَرْجَوَانِ تَلَأَلَتْ بِجُروحِهِ،
أُولَى أَغَانِيهَا: دَمُ الحُبِّ الذي سَفَكَته آلهَةُ،
وَأَخْرَجَهَا دَمٌ ...
يا شَعْبَ كَنْعَانَ احتفلْ
بَرِيعِ أَرْضِكَ، واشتعلْ
كَزْهَوْرَهَا، يا شَعْبَ كَنْعَانَ المُجْرَدَ من
سِلَاحِكَ، واكتملْ!
من حُسْنِ حَظِّكَ أَنَّكَ آخَرْتَ الزَّرَاعَةَ مِهْنَةً
من سُوءِ حَظِّكَ أَنَّكَ آخَرْتَ البَسَاتِينَ
القَرْيَةَ من حُدُودِ الله،
حيثُ السِّيفُ يَكْتُبُ سِيرَةَ الصُّلُصَالِ ...

فلتكنِ السنابلُ بجيشك الأبدى،
وليكنِ الخلودُ كلابَ صيدٍ
في حقول القمح،
ولتكن الأيايلُ حُرَّةً
كقصيدةٍ رعويةٍ ...

نزفَ الحبيبُ شقائق النعمان،
فاصفرَّتْ صخورُ السُّفحِ من
وجعِ المخاضِ الصعبِ،
واحمرَّتْ،
وسال الماءُ أحمرَّ
في عروق ربيعنا ...
أولى أغانينا دَمُ الحُبِّ الذي
سفكته آلهةُ،
وآخرُها دَمُ سَفَكْتُهُ آلهةُ الحديد...

في القدس

في القدس، أعني داخلَ الشُّور القديم،
 أسيرُ من زَمَنٍ إلى زَمَنٍ بلا ذكرى
 تصوُّئي. فإن الأنبياء هناك يقتسمون
 تاريخَ المقدَّس ... يصعدون إلى السماء
 ويرجعون أَقلَّ إحباطاً وحزناً، فالحبَّةُ
 والسلامُ مُقدَّسان وقادمان إلى المدينة.
 كنت أمشي فوق مُنَحَدَرٍ وأهْجِسُ: كيف
 يختلف الرِّوَاةُ على كلام الضوء في حجرٍ؟
 أَمِنْ حجرٍ شحيح الضوء تندلُعُ الحروبُ؟
 أسير في نومي. أحملق في منامي. لا
 أرى أحداً ورائي. لا أرى أحداً أمامي.
 كُلُّ هذا الضوء لي. أمشي. أخفُّ. أطيرُ

ثم أَصِيرُ غَيْرِي فِي التَّجَلِّي. تَنْبُثُ
 الْكَلِمَاتُ كَالْأَعْشَابِ مِنْ فَمِ أَشْعِيَا
 النَّبِيِّ: «إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لَنْ تَأْمَنُوا».
 أَمْشِي كَأَنِّي وَاحِدٌ غَيْرِي. وَجُرْحِي وَرَدَّةٌ
 بِيضَاءُ لِإِنْجِيلِيَّةٍ. وَيَدَايَ مِثْلَ حِمَامَتَيْنِ
 عَلَى الصَّلِيبِ تُحَلِّقَانِ وَتَحْمِلَانِ الْأَرْضَ.
 لَا أَمْشِي، أَطِيرُ، أَصِيرُ غَيْرِي فِي
 التَّجَلِّي. لَا مَكَانَ وَلَا زَمَانَ. فَمَنْ أَنَا؟
 أَنَا لَا أَنَا فِي حَضْرَةِ الْمَعْرَاجِ. لَكِنِّي
 أَفَكِّرُ: وَخِذْهُ، كَانَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ
 يَتَكَلَّمُ الْعَرَبِيَّةَ الْفُصْحَى. «وَمَاذَا بَعْدُ؟»
 مَاذَا بَعْدُ؟ صَاحَتِ فَجْأَةً جَنْدِيَّةً:
 هُوَ أَنْتَ ثَانِيَّةً؟ أَلَمْ أَقْتُلْكَ؟
 قُلْتُ: قَتَلْتَنِي ... وَنَسِيتُ، مِثْلَكَ، أَنْ أَمُوتَ.

بغياها كَوْنْتُ صورتها

بغياها، كَوْنْتُ صُورَتَهَا: مِنَ الْأَرْضِي
 يَتَدَى السَّمَاوِي الْخَفِيِّ. أَنَا هُنَا أَرْنُ
 الْمَدَى بِمَعْلَقَاتِ الْجَاهِلِيِّينَ ... الْغِيَابُ هُوَ
 الدَّلِيلُ هُوَ الدَّلِيلُ. لِكُلِّ قَافِيَةٍ أُقِيمَتْ
 خِيْمَةٌ. وَلِكُلِّ شَيْءٍ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ
 قَافِيَةٌ. يُعَلِّمُنِي الْغِيَابُ دُرُوسَهُ: «لَوْلَا
 السَّرَابُ لَمَّا صَمَدَتْ...» وَفِي الْفَرَاغِ
 فَكَّكْتُ حُرُوفَ الْأَبْجَدِيَّاتِ الْقَدِيمَةِ،
 وَاتَّكَأْتُ عَلَى الْغِيَابِ. فَمَنْ أَنَا بَعْدَ
 الزِّيَارَةِ؟ طَائِرٌ، أَمْ عَابِرٌ بَيْنَ الرَّمُوزِ
 وَبَاعَةِ الذِّكْرِ؟ كَأَنِّي قِطْعَةٌ أَثَرِيَّةٌ،
 وَكَأَنِّي سَبَّحَ تَسْلُلَ مِنْ يَتُوسَ، وَقُلْتُ لِي:

فلنذهبن إلى تلالِ سَبْعَةٍ. فوضعتُ
أَقْنَعَتِي على حَجَرٍ، وسرْتُ كما يسير
النائمون يقودُني حُلْمِي. ومن قَمَرٍ إلى
قمرٍ قَفَزْتُ. هناك ما يكفي من اللاوعي
كي تَتَحَرَّرَ الأشياءُ من تاريخها. وهناك
ما يكفي من التاريخ كي يتحرَّرَ اللاوعي
من معرَاجه. «خذني إلى سنواتنا
الأولى» - تقول صديقتي الأولى. «دعي
الشُبَّانَ مفتوحاً ليدخل طائرُ الدوري
حُلْمَكَ» ... ثم أصبحوا، لا مدينةً في
المدينة. لا «هنا» إلّا «هناك». ولا
هناك سوى هنا. لولا السرابُ
لما مَشَيْتُ إلى تلالِ سَبْعَةٍ...
لولا السراب!

19

الأربعاء، الجمعة، السبت

الأربعاء/

الجمعة/

السبت/

الأساطير، البلاد، تشابهت ...

لو كان لي قلبان لم أندم على

حب، فإن أخطأت قلت: أسأت

يا قلبي الجريح الاختيار! ... وقادني

القلب الصحيح إلى الينايع/

الخميس

السوسن/

الاثنين/

أَسْمَاءُ الْمَكَانِ تَشَابَهَتْ. أَزْهَقْتُ أُغْنِيَتِي
بوصف الظلِّ. والمعنى يَرَى قَلْبَ
الظلام ولا يُرى. قال الكلامُ كلامَهُ،
فبَكَتْ إلهَاتُ كَثِيرَاتٍ عَلَى أَدْوَارِهِنَّ/

أَلْحِكْمَةُ/

الأَحَدُ/

الْعَدُو/

الطُّرُقُ، الثَّلَاثَاءُ، السَّمَاءُ، تَشَابَهَتْ ...
لو كان لي دربان لاختَرْتُ البَدِيلَ
الثَّالِثَ. انْكَشَفَ الطَّرِيقُ الْأَوَّلُ،
انْكَشَفَ الطَّرِيقُ الْآخَرُ،
انْكَشَفَتْ دُرُوبُ الْهَآوِيَةِ

زيتونتان

زيتونتان عتيقتان على شمال الشرقي،
في الأولى اختبأت لأخدع الراوي
وفي الأخرى خبأت شقائق النعمان

إن شئت أن أنسى ... تذكّرتُ
أمتلأت بحاضري، واخترتُ يومَ
ولادتي ... لأرتب النسيانَ

تتسّعب الذكرى. هُنا قَمَرٌ يُعدُّ
وليمةً لغيابه. وهناك بئرٌ في
جنوبيّ الحديقة زفّت امرأةً إلى شيطان

كُلُّ الملائكة الذين أُحِبُّهُمْ
أخذوا الربيع من المكان، صباح
أمس، وأورثوني قَمَّةَ البُرْكانِ

أنا آدمُ الثاني. تَعَلَّمْتُ القراءةَ
والكتابةَ من دروس خطيئتي،
وغدي سيبدأ من هنا، والآنُ

إن شئتُ أن أنسى... تذكَّرْتُ
انتقيتُ بدايةً، وُولِدْتُ كيف أُرِدْتُ
لا بطلاً... ولا قُرْباناً

تَشَعَّبُ الذكري وتلعبُ. ها هنا
زيتونتان عتيقتان على شمال الشرقِ
في الأولى وَجَدْتُ بُدُورَ أغنيتي

وفي الأخرى وَجَدْتُ رسالةً
من قائد الرومان:

يا إخوة الزيتونِ
أطلبُ منكمُ الغفران،
أطلبُ منكمُ الغفران...

الكتاب العاشر

مكتبة
الكتاب
العاشر

لا ينظرون وراءهم

لا ينظرون وراءهم ليودّعوا منفي،
 فإنّ أمامهم منفي، لقد ألقوا الطريق
 الدائري، فلا أمام ولا وراء، ولا
 شمال ولا جنوب. «يهاجرون» من
 السياج إلى الحديقة. يتركون وصيّة
 في كل مثير من فناء البيت:
 «لا تتذكّروا من بعدنا
 إلّا الحياة» ...

«يسافرون» من الصباح السندسي إلى
 غبار في الظهيرة، حاملين نُعُوشَهُمْ ملأى
 بأشياء الغياب: بطاقة شخصية، رسالة
 لحبيبة مَجْهُولَةِ العُنوان:

«لا تتذكّري من بعدنا

إلاّ الحياة»

و«يرحلون» من البيوت إلى الشوارع،

راسمين إشارة النصر الجريئة، قائلين

لمن يراهم:

«لم نزلُ نحيا، فلا تتذكّرونا!»

يخرجون من الحكاية للتنفّس والتشوّس.

يحلمون بفكرة الطّيَران أعلى... ثم أعلى.

يصعدون ويهبطون. ويذهبون ويرجعون.

ويقفزون من السيراميك القديم إلى النجوم.

ويرجعون إلى الحكاية ... لا نهاية للبداية.

يهربون من النّعاس إلى ملاك النوم،

أيض، أحمر العينين من أثر التأمّل

في الدم المسفوك:

«لا تتذكروا من بعدنا

إلاّ الحياة» ...

22

لم يسألوا: ماذا وراء الموت

لم يسألوا: ماذا وراء الموت؟ كانوا
يَحْفَظُونَ خَرِيطَةَ الْفَرْدُوسِ أَكْثَرَ مِنْ
كِتَابِ الْأَرْضِ، يُشْغِلُهُمْ سُؤَالُ آخَرٍ:
ماذا سنُفْعَلُ قَبْلَ هَذَا الْمَوْتِ؟ قَرَبَ
حَيَاتِنَا نَحِيَا، وَلَا نَحِيَا. كَأَنَّ حَيَاتِنَا
جِصَصٌ مِنَ الصَّحْرَاءِ مُخْتَلَفٌ عَلَيْهَا يَبْنِي
آلِهَةَ الْعِقَارِ، وَنَحْنُ جِيرَانُ الْغُبَارِ الْغَابِرُونَ.
حَيَاتِنَا عَبَاءٌ عَلَى لَيْلِ الْمُؤَرَّخِ: «كُلَّمَا
أَخْفَيْتُهُمْ طَلَعُوا عَلَيَّ مِنَ الْغِيَابِ»...
حَيَاتِنَا عَبَاءٌ عَلَى الرَّسَامِ: «أَرَسُّهُمْ،
فَأَصْبَحَ وَاحِدًا مِنْهُمْ، وَيَحْجِبُنِي الضَّبَابُ».
حَيَاتِنَا عَبَاءٌ عَلَى الْجَنَرَالِ: «كَيْفَ يَسِيلُ

من شَيْحِ دَم؟» وحياتنا
هي أن نكون كما نريد. نريد أن
نحيا قليلاً، لا لشيء ... بل لِنُحْتَرَمَ
القيامة بعد هذا الموت. واقتبسوا،
بلا قَصْدٍ كلام الفيلسوف: «آلوت
لا يعني لنا شيئاً. نكونُ فلا يكونُ.
آلوت لا يعني لنا شيئاً. يكونُ فلا
نكونُ»
ورَبُّوا أَحْلَامَهُمْ
بطريقة أخرى. وناموا واقفين!

قتلى ومجهولون

قتلى، ومجهولون. لا نسيانَ يجمعُهُم
ولا ذكرى تفرّقُهُم ... ومنسيّون في
غُشْبِ الشتاءِ على الطريقِ العامِّ بين
حكايتين طويلتين عن البُطولةِ والعذابِ.
«أنا الضحيّة». «لا. أنا وحدي
الضحية». لم يقولوا للمؤلف: «لا
ضحيّة تقتل الأخرى. هنالك في
الحكاية قاتلٌ وضحيّة». كانوا صغاراً
يقطفون الثلج عن سُرِّ المسيح،
ويلعبون مع الملائكة الصغار، فإنَّهُم
أبناءُ جيلٍ واحدٍ يتسرّبون من
المدارس هاربين من الرياضيّات والشعرِ

الحماسي القديم، ويلعبون مع الجنود،
على الحواجز، لُعبة الموت البريئة.
لم يقولوا للجنود: دعوا البنادق
وافتحوا الطرقات كي تجد الفراشة
أمها قرب الصباح، وكي نظير مع
الفراشة خارج الأحلام، فالأحلام
ضيقة على أبوابنا. كانوا صغاراً
يلعبون، ويصنعون حكاية للوردة
الحمراء تحت الثلج، خلف حكايتين
طويلتين عن البطولة والعذاب، ويهربون
مع الملائكة الصغار إلى سماء صافية.

24

السروة انكسرت

والسروة شجن الشجرة وليس
الشجرة، ولا ظل لها لأنها ظل الشجرة،
بسام حجار

أَلْسُرُوهُ أَنْكَسَرَتْ كَمَثْنَدِيَّةٍ، وَنَامَتْ فِي
الطَّرِيقِ عَلَى تَقَشُّفِ ظِلِّهَا، خَضِرَاءَ، دَاكِنَةً،
كَمَا هِيَ. لَمْ يُصَبَّ أَحَدٌ بِسَوْءِ. مَرَّتِ
الْعَرَبَاتُ مُسْرِعَةً عَلَى أَغْصَانِهَا. هَبَّ الْغَبَارُ
عَلَى الزَّجَاجِ ... / أَلْسُرُوهُ أَنْكَسَرَتْ، وَلَكِنْ
الْحَمَامَةُ لَمْ تَغْيِّرْ عُشَّهَا الْعَلَنِيَّ فِي دَارِ
مُجَاوَرَةٍ. وَحَلَقَ طَائِرَانِ مَهَاجِرَانِ عَلَى
كَفَافِ مَكَانِهَا، وَتَبَادَلَا بَعْضُ الرَّمُوزِ.
وَقَالَتْ امْرَأَةٌ لِمَاجَرَتِهَا: تُرَى، شَاهَدَتْ عَاصِفَةً؟

فقلت: لا، ولا جرأة... / والسروة
انكسرت. وقال العابرون على الخطام:
لعلها سئمت من الإهمال، أو هربت
من الأيام، فهي طويلة كزرافة، وقليلة
المعنى كمكنسة الغبار، ولا تُظلل عاشقين.
وقال طفل: كنت أرسمها بلا خطأ،
فإن قوامها سهل. وقالت طفلة: إن
السماء اليوم ناقصة لأن السروة انكسرت.
وقال فتى: ولكن السماء اليوم كاملة
لأن السروة انكسرت. وقلت أنا
لنفسي: لا غموض ولا وضوح،
السروة انكسرت، وهذا كل ما في
الأمر: إن السروة انكسرت!

25

رجل وخشف في الحديقة

[إلى سليمان النجاشي]

رَجُلٌ وَخَشَفَ فِي الْحَدِيقَةِ يَلْعَبَانِ مَعاً...
 أَقُولُ لَصَاحِبِي: مِنْ أَيْنَ جَاءَ آتِنُ الْغَزَالِ؟
 يَقُولُ: جَاءَ مِنَ السَّمَاءِ. لَعَلَّهُ «يَحْتَنِي»
 رُزِقْتُ بِهِ لِيُؤْنِسَ وَحْشَتِي. لَا أُمُّ
 تُرَضِعُهُ فَكُنْتُ الْأُمُّ، أَسْقِيهِ حَلِيبَ
 الشَّاةِ مَمْرُوجاً بَمَلْعَقَةٍ مِنَ الْعَسَلِ
 الْمُعْطَرِّ. ثُمَّ أَحْمَلُهُ كَغِيَمَةٍ عَاشِقِي فِي
 غَايَةِ الْبَلُوطِ...
 قُلْتُ لَصَاحِبِي: هَلْ صَارَ يَأْلَفُ بَيْتَكَ
 الْمَأْهُولَ بِالْأَصْوَاتِ وَالْأَدْوَاتِ؟
 قَالَ: وَصَارَ يَرْقُدُ فِي سِرِّي حِينَ يَمْرُضُ...

ثُمَّ قَالَ: وَصِرْتُ أَمْرَضُ حِينَ يَمْرُضُ.
صِرْتُ أَهْذِي: «أَيْهَا الطِّفْلُ الْيَتِيمُ!
أَنَا أَبُوكَ وَأُمُّكَ، انْهَضْ كَيْ تَعْلَمَنِي
السَّكِينَةُ»/

بعد شهرٍ زُرْتُهُ فِي بَيْتِهِ الرَّيْفِيِّ.
كَانَ كَلَامُهُ يَبْكِي. لِأَوَّلِ مَرَّةٍ يَبْكِي سُلَيْمَانُ
الْقَوِيُّ، يَقُولُ لِي مَتَهَدِّجُ الصَّوْتِ: «أَبْنُ
الْغَزَالِ، ابْنُ الْغَزَالَةِ مَاتَ بَيْنَ يَدَيَّ.
لَمْ يَأْلَفْ حَيَاةَ الْبَيْتِ. لَكِنْ لَمْ يَمُتْ
مِثْلِي وَمِثْلَكَ...»

لَمْ أَقْلُ شَيْئًا لِصَاحِبِي الْحَزِينِ. وَلَمْ
يُودِّعْنِي، كَعَادَتِهِ، بِأَيَّاتٍ مِنَ الشَّعْرِ
الْقَدِيمِ. مَشَى إِلَى قَبْرِ الْغَزَالِ الْأَبْيَضِ.
أَحْتَضَنَ التَّرَابَ وَأَجْهَشَ: «أَنْهَضْ
كَيْ يَنَامَ أَبُوكَ، يَا أَبْنِي، فِي سَرِيرِكَ.

ها هنا أجدُ السكينةُ/

نام في قبر الغزال، وصار لي
ماضي صغير في المكان:
رَجُلٌ وَحِشْفٌ في الحديقة يرقدان!

الكوكب العاشد

مختبرات
الكمبيوتر
العاشر

26

هذا هو النسيان

هذا هو النسيانُ حَوْلَكَ: يافطاتُ
تُوقِظُ الماضي، تحثُّ على التذكُّر. تكبح
الزَّمنَ السريعَ على إشارات المرور،
وتُغلقُ الساحاتِ/

تمثالُ رُخاميٍّ هو النسيانُ. تمثالُ
يُحْمَلِقُ فيكَ: قِفْ مثلي لتشبهني.
وَضَعْ ورداً على قدمي/

أُغْنِيَةُ مُكَرَّرَةٍ هو النسيانُ. أُغْنِيَةُ
تطارِدُ رَبَّةَ البيتِ احتفاءً بالمناسبة
السعيدة، في السرير وغرفة الفيديو،

وفي صالونها الخاوي، ومطبخها/

وأنصاب هو النسيان. أنصاب على
الطرقات تأخذ هيئة الشجر البرونزي
المرصع بالمدائح والصقور/

ومتحف خالٍ من الغد، بارد،
يروى الفصول المنتقاة من البداية
هذا هو النسيان: أن تتذكر الماضي
ولا تتذكر الغد في الحكاية

27

تُنْسَى، كأنك لم تكن

تُنْسَى، كأنك لم تَكُنْ
تُنْسَى كمصرع طائر
ككنيسة مهجورة تُنْسَى،
كحبّ عابر
وكوردة في الليل ... تُنْسَى

□

أنا للطريق ... هناك من سَبَقَتْ حُطَّاهُ حُطَّايَ
مَنْ أُمْلَى رُؤَاةُ عَلَى رُؤَايَ. هُنَاكَ مَنْ
نَثَرَ الْكَلَامَ عَلَى سَجِيَّتِهِ لِيَدْخُلَ فِي الْحِكَايَةِ
أَوْ يَضِيءَ لِمَنْ سِيَّاتِي بَعْدَهُ
أَثَرًا غَنَائِيًّا ... وَحَدَسَا

□

تُنْسَى، كأنك لم تكن
شخصاً، ولا نصّاً ... وتُنْسَى

□

أَمْشِي عَلَى هَذِي البصيرة، رُبّما
أُعْطِي الحكايةَ سيرةً شخصيّةً. فالمفرداتُ
تُسَوِّسُنِي وَأُسَوِّسُهَا. أنا شكلها
وهي التجلّي الحُرُّ. لكن قيل ما سأقول.
يسبقني غدّ ماضٍ. أنا مَلِكُ الصدى.
لا عَرْشَ لي إلّا الهوامش. والطريقُ
هو الطريقة. رُبّما نَسِيَ الأوائلُ وَصَفَ
شيء ما، أَحْرَكَ فيه ذاكرةً وحسّاً

□

تُنْسَى، كأنك لم تكن
خبراً، ولا أثراً ... وتُنْسَى

□

أنا للطريق ... هناك مَنْ تمشي خُطاهُ
على خُطائي، وَمَنْ سيتبعني إلى رؤيائي.
مَنْ سيقول شعراً في مديحِ حداثتي المنفى،
أمام البيت، حرّاً من عبادةِ أمسٍ،
حرّاً من كُنائاتي ومن لغتي، فأشهد
أنني حيٌّ
وحرٌّ
حين أُتسى!

مختبرات
الكمبيوتر
العاشر

أما أنا، فأقول لاسمي

أما أنا، فأقول لاسمي: دَعَكَ مِنِّي
وابتعدْ عَنِّي، فَإِنِّي ضِقْتُ مِنْذَ نَطَقْتُ
وَأَتَسَّعْتُ صِفَاتِكَ! خذْ صِفَاتِكَ وَاْمْتَحِنْ
غَيْرِي ... حَمَلْتُكَ حِينَ كُنَّا قَادِرَيْنِ عَلَى
عَبُورِ النِّهْرِ مُتَّحِدِينَ «أَنْتَ أَنَا»، وَلَمْ
أُخْتَرِكَ يَا ظِلِّي السُّلُوقِيَّ الْوَفِيِّ، أَخْتَارُكَ
الْآبَاءَ كَيْ يَتَفَاءَلُوا بِالْبَحْثِ عَنْ مَعْنَى.
وَلَمْ يَتَسَاءَلُوا عَمَّا سَيَحْدُثُ لِلْمُسَمَّى عِنْدَمَا
يَقْسُو عَلَيْهِ الْاسْمُ، أَوْ يُثْمِلِي عَلَيْهِ
كَلَامُهُ فَيَصِيرُ تَابِعَهُ ... فَأَيْنَ أَنَا؟
وَأَيْنَ حِكَايَتِي الصُّغْرَى وَأَوْجَاعِي الصَّغِيرَةُ؟
تَجْلِسُ امْرَأَةٌ مَعَ أَاسْمِي دُونَ أَنْ

تصغي لصوت أُخوَّة الحيوان
 والإنسان في جسدي، وتروي لي
 حكاية حبها، فأقول: إن أعطيتني يدك
 الصغيرة صبرْتُ مثلَ حديقة .. فتقول:
 لَسْتُ هُوَ الذي أعنيه، لكني أريد
 نصيحةً شعريَّةً. ويحملُ الطلاب في
 اسمي غير مكرثين بي، وأنا أمرُّ
 كأنني شخص فضوليّ. وينظر قارئ
 في اسمي، فيبدي رأيه فيه: أحبُّ
 مسيحه الخافي، وأما شِعْره الذاتي في
 وَصَفِ الضباب، فلا! ... ويسألني:
 لماذا كنت ترمقني بطَرْفٍ ساخر. فأقول:
 كنت أحاور اسمي: هل أنا صِفَّة؟
 فيسألني: وما شأني أنا؟/

أُمّا أنا، فأقول لاسمي: أَعْطِنِي
ما ضاع من حُرِّيَّتِي!

منتديات
الكوكب العاشق

مختبرات
الكمبيوتر
العاشر

29

الحلم، ما هو؟

أَلْحُلْمُ، ما هُوَ؟
ما هُوَ اللاشيءُ هذا
عابرُ الزمنِ،
أَلْبَهْيُ كنْجَمَةٍ في أَوَّلِ الحُبِّ،
أَلشَّهْيُ كصورةِ امرأةٍ
تَدُلُّكَ نهدَها بالشَّمْسِ؟/
ما هُوَ، لا أكاد أراه حتى
يختفي في الأَمْسِ/
لا هُوَ واقِعٌ لأعيش وطأته وخفَّتُهُ
ولا هُوَ عكسُهُ لأطير محرّاً
في فضاءِ الحَدْسِ/
ما هُوَ، ما هُوَ اللاشيءُ، هذا الهَشُّ

هذا اللانهائي، الضعيف، الباطني
الزائر، المتطائر، المتناثر،
المتجدد المتعدد اللا شكل؟
ما هو؟ لا يُجس ولا يُمس/
ولا يمد يداً إلى المُتلهفين الحائرين
فما هو السري هذا،
الحائر، الحذر، المحير
حين أنتظر الزيارة مطمئن النفس/
يكسرني ويخرج مثل لؤلؤة
تُدخرج ضوءها،
ويقول لي: لا تنتظرنني
إن أردت زيارتي
لا تنتظرنني!

30

الآن، إذ تصحو، تذكر

الآن، إذ تصحو، تذكُر رَقْصَةَ البَجَعِ
 الأخيرة. هل رَقَصْتَ مَعَ الملائكة الصغارِ
 وأنت تحلُم؟ هل أضاءتكَ الفراشةُ عندما
 احترقت بضوء الوردَةِ الأبدِيّ؟ هل
 ظهرتْ لك العنقاءُ واضحةً ... وهل نادتكِ
 باسمكِ؟ هل رأيتَ الفجرَ يطلع من
 أصابع مَنْ تُحِبُّ؟ وهل لَمَسْتَ الحُلْمَ
 باليد، أم تَرَكَتَ الحُلْمَ يحلُمُ وخذهُ،
 حين انتبهتَ إلى غيابكِ بَغْتَةً؟
 ما هكذا يُخلِي المنامُ الحالمونَ،
 فإنهم يتوهجون،
 ويكملون حياتهم في الحُلْمِ ...

قل لي: كيف كنت تعيش لحلمك
في مكانٍ ما، أقلُّ لك مَنْ تكونُ

والآن، إذ تصحو، تذكُّر:
هل أسأتَ إلى منامك؟
إن أسأت، إذاً تذكُّر
رقصةَ البجع الأخيرة!

مكتبة
الكتاب
العاشق

31

الظلّ

الظلّ، لا ذَكَرٌ ولا أنثى
 رماديّ، ولو أَشْعَلْتُ فيه النارَ ...
 يتبعني، ويكبرُ ثُمَّ يصغرُ
 كُنْتُ أَمْشي. كان يَمْشي
 كنتُ أَجْلِسُ. كان يَجْلِسُ
 كنتُ أَرْكُضُ. كان يَرْكُضُ
 قلتُ: أَخْذَعُهُ وَأَخْلَعُ معطفي الكُحْلِي
 قلّديني، وأَلْقِي عنه معطفهُ الرماديّ ...
 اسْتَدَرْتُ إلى الطريق الجانبيّة
 فاستدار إلى الطريق الجانبيّة.
 قُلْتُ: أَخْذَعُهُ وَأَخْرُجْ من غروب مدينتي
 فرأيتُهُ يَمْشي أمامي

في غروب مدينة أخرى ...
فقلت: أعود مُتَكِئاً على عُكَّازَتَيْنِ
فعاد متكئاً على عكازَتَيْنِ
فقلت: أحمله على كتفي،
فاستعصى ...
فقلت: إذن، سأتبعه لأخذعه
سأتبع بئغاء الشكل سُخْرِيَّةً
أُقَلِّدُ ما يُقَلِّدُنِي
لكي يَقَعَ الشبيه على الشبيه
فلا أراه، ولا يراني.

32

لا شيء يعجبني

«لا شيء يُعجبني»

يقول مسافرٌ في الباص - لا الراديو
ولا صُحُفُ الصباح، ولا القلاعُ على التلال.
أريد أن أبكي /

يقول السائق: انتظرِ الوصولَ إلى المحطّة،
وابكِ وحدك ما استطعتِ /

تقول سيّدة: أنا أيضاً. أنا لا
شيء يُعجبني. دلّلتُ آهني على قبري،
فأعجبتهُ ونام، ولم يُودّعني /

يقول الجامعي: ولا أنا، لا شيء
يعجبني. درّستُ الأركيولوجيا دون أن
أجدَ الهويّةَ في الحجارة. هل أنا

حقاً أنا؟/

ويقول جندِي: أنا أيضاً. أنا لا
شيء يُعجبني. أُحاصِرُ دائماً شَبَحاً

يُحاصِرُنِي/

يقول السائقُ العصبيُّ: ها نحن
اقتربنا من محطتنا الأخيرة، فاستعدوا
للنزول .../

فيصرخون: نريدُ ما بَعْدَ المحطّةِ،
فانطلق!

أما أنا فأقولُ: أنزلني هنا. أنا
مثلهم لا شيء يعجبني، ولكنني تعبْتُ
من السَّفَرِ.

33

هو هاديء، وأنا كذلك

هُوَ هَادِيءٌ، وَأَنَا كَذَلِكَ
يَخْتَسِي شَايَا بَلِيمُونَ،
وَأَشْرَبُ قَهْوَةً،
هَذَا هُوَ الشَّيْءُ الْمَغَايِرُ يَبْتَنَّا.
هُوَ يَرْتَدِي، مِثْلِي، قَمِيصاً وَاسِعاً وَمُخَطَّطاً
وَأَنَا أَطَالَعُ، مِثْلَهُ، صُحُفَ الْمَسَاءِ.
هُوَ لَا يَرَانِي حِينَ أَنْظُرُ خِلْسَةً،
أَنَا لَا أَرَاهُ حِينَ يَنْظُرُ خِلْسَةً،
هُوَ هَادِيءٌ، وَأَنَا كَذَلِكَ.
يَسْأَلُ الْجَرَسُونَ شَيْئاً،
أَسْأَلُ الْجَرَسُونَ شَيْئاً...
قِطَّةٌ سَوْدَاءُ تَعْبُرُ يَبْتَنَّا،
فَأَجَسَ فَرَوَةَ لَيْلِهَا

ويجسّ قَزَوَةَ ليلها ...
أنا لا أقول لهُ: السماء اليوم صافيةٌ
وأكثرُ زرقَةً.

هو لا يقول لي: السماء اليوم صافيةٌ.

هو المرثيُّ والرائي

أنا المرثيُّ والرائي.

أحرّكُ رِجْلِي البشري

يحرك رجلهُ اليُمْنَى.

أدندنُ لَحْنَ أُغْنِيَةٍ،

يدندن لَحْنَ أُغْنِيَةٍ مُشَابِهَةٍ.

أفكّرُ: هل هو المرأة أبصر فيه نفسي؟

ثم أنظر نحو عينيهِ،

ولكن لا أراه ...

فأتركُ المقهى على عَجَلٍ.

أفكرُ: رُبّما هو قاتلٌ، أو رُبّما

هو عابرٌ قد ظنّ أنني قاتلٌ

هو خائفٌ، وأنا كذلك!

34

وصف الغيوم

ووصف الغيوم،
علي أن أسرع كثيراً
لبعد هنيهة لن تكون ما هي
عليه، مستعير أخرى،
شيمورسكا

وَصَفُ الغيوم مَهَارَةً لَمْ أُوتَهَا ...
أَمْشِي عَلَى جَبَلٍ وَأَنْظُرُ مِنْ عَلِي
نَحْوِ الغيوم، وَقَدْ تَدَلَّتْ مِنْ مَدَارِ اللّازُورْدِ
خَفِيفَةً وَشَفِيفَةً،
كَالْقَطَنِ تَحُلْجُهُ الرِّيحُ،
كَفِكْرَةٍ بِيضَاءٍ عَنْ مَعْنَى الوجود.
لَعَلَّ آلِهَةً تَنْفُخُ قِصَّةَ التَّكْوِينِ
«لَا شَكْلَ نِهَائِي لِهَذَا الْكُونِ...»

لا تاريخ للأشكال..
أنظر من علي، وأرى انبثاق الشكل
من عبئته الأشكال:
ريش الطير ينبث في قرون الأيل البيضاء،
وجه الكائن البشري يطلع من
جناح الطائر المائي ...
ترسمنا الغيوم على وتيرتها
وتختلط الوجوه مع الرؤى
لم يكتمل شيء ولا أحد، فبعد هنيهة
ستصير صورتك الجديدة صورة النمر
الجريح بصولجان الريح ...
رسمون مجهولون ما زالوا أمامك
يلعبون، ويرسمون المطلق الأبدي،
أيض، كالغيوم على جدار الكون ...
والشعراء ينون المنازل بالغيوم
ويذهبون...

لُكُلْ حَسَّ صُورَةً،
وَلُكُلْ وَقْتِ غَيْمَةٍ،
لكن أعمارَ الغيوم قصيرة في الريح،
كالأبد المؤقت في القصائد،
لا يزول ولا يدوم ...

من مُحسن حظِّي أَنني أَمْشي على جَبَلٍ
وَأَنْظُر من عليّ
نحو الغيوم...
حبيب العاشق

مختبرات
الكمبيوتر
عاشق

35

هي جملة اسمية

هي جُمْلَةٌ إِسْمِيَّةٌ، لَا فِعْلَ
 فِيهَا أَوْ لَهَا: لِلْبَحْرِ رَائِحَةُ الْأَسِيرَةِ
 بَعْدَ فِعْلِ الْحُبِّ ... عَطَّرَ مَالِحٌ أَوْ
 حَامِضٌ. هِيَ جُمْلَةٌ إِسْمِيَّةٌ: فَرَحِي
 جَرِيحٌ كَالْغُرُوبِ عَلَى شَبَابِيكَ الْغَرِيْبَةِ.
 زَهْرَتِي خَضِرَاءُ كَالْعَنْقَاءِ. قَلْبِي فَائِضٌ
 عَنْ حَاجَتِي، مَتَرَدِّدٌ مَا بَيْنَ بَابَيْنِ:
 الدُّخُولُ هُوَ الْفُكَاهَةُ، وَالْخُرُوجُ هُوَ
 الْمَتَاهَةُ. أَيْنَ ظِلِّي - مَرَشْدِي وَسَطِ
 الزَّحَامِ عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى الْقِيَامَةِ؟ لِيَتْنِي
 حَجَرٌ قَدِيمٌ دَاكُنُ اللَّوْنَيْنِ فِي سَوْرِ الْمَدِينَةِ،
 كَسْتَنَائِي وَأَسْوَدُ، طَاعِنٌ فِي اللَّاشْعُورِ

تجاه زوّاري وتأويل الظلال. وليت
للفعل المضارع موطئاً للسير خلفي
أو أمامي، حافي القدمين. أين
طريقي الثاني إلى دَرَج المدى؟ أين
الشّدَى؟ أين الطريقُ إلى الطريق؟
وأين نحنُ، السائرين على خُطَى الفعل
المضارع، أين نحن؟ كلامنا نخبرُ
ومُبْتَدَأُ أمام البحر، والزَّيْدُ المِراوُغُ
في الكلام هُوَ النِّقَاطُ على الحروف،
فليت للفعل المضارع موطئاً فوق
الرصيف ...

36

قل ما تشاء

قُلْ ما تشاءُ. ضَعِ النقاطَ على الحروفِ.
 ضَعِ الحروفَ مع الحروفِ لتولّدَ الكلماتُ،
 غامضةً وواضحةً، ويتبدىءُ الكلامُ.
 ضَعِ الكلامَ على المجازِ. ضَعِ المجازَ على
 الخيالِ. ضَعِ الخيالَ على تَلَفُّتهِ البعيدِ.
 ضَعِ البعيدَ على البعيدِ ... سَيُولَدُ الإيقاعُ
 عندَ تَشابُهٍ الصُّورِ الغريبةِ من لقاءِ
 الواقعيِّ مع الخياليِّ المُشاكسِ/
 هل كَتَبْتَ قصيدةً؟

كلا!

لعلّ هناك ملحاً زائداً أو ناقصاً
 في المفرداتِ. لعلّ حادثةٌ أُخِلَّتْ بالتوازنِ

في مُعَاذِلَةِ الظلال. لعلَّ نسراً
مات في أعلى الجبال. لعلَّ أَرْضَ
الرمز خَفَّتْ في الكناية فاستباحتها
الرياح. لعلَّها ثَقُلَتْ على ريش الخيال.
لعلَّ قَلْبَكَ لم يفكِّرْ جيداً، ولعلَّ
فِكْرَكَ لم يُحَسِّسْ بما يَرُجُّكَ. فالقصيدة،
زوجة الغد وأبنة الماضي، تخيِّم في
مكانٍ غامضٍ بين الكتابة والكلام /
فهل كَتَبْتَ قصيدة؟
كلا!
إذن، ماذا كَتَبْتَ؟
كُتِبَتْ درساً جامعياً،
واعترَلْتُ الشعر منذ عرفتُ
كيمياءَ القصيدة ... واعترَلْتُ!

37

لا تكتب التاريخ شعراً

لا تكتبِ التاريخَ شعراً، فالسلاحُ هوَ
 المؤرِّخُ. والمؤرِّخُ لا يُصابُ برعشة
 الحمى إذا سَمَى ضحاياه ولا يُضغِي
 إلى سرديّة الجيتار. والتاريخ يومياتُ
 أسلِحَةٍ مُدَوَّنةٌ على أجسادنا. «إنَّ
 الذكيَّ العبقريَّ هو القويُّ». وليس
 للتاريخ عاطفةٌ لِنَشغَرَ بالحنين إلى
 بدايتنا، ولا قَصْدٌ لنعرف ما الأمام
 وما الوراء ... ولا استراحاتٌ على
 سِكَك الحديد لنُدفن الموتى، وننظُرَ
 صَوْبَ ما فَعَلَ الزمانُ بنا هناك، وما
 فَعَلْنَا بالزمان. كأننا منه وخارجُه.

فلا هو منطقيّ أو بديهيّ لنكسر
 ما تَبَقَّى من خرافتنا عن الزمن السعيد،
 ولا خرافتي لنرضى بالإقامة عند أبواب
 القيامة. إنَّه فينا وخارجنا.. وتكرارُ
 جُنُونِي، من المِقلّاع حتى الصاعق النَّوَوِيّ.
 يصنَعُنا ونصنعه بلا هَدَفٍ ... هل
 التاريخ لم يُولَدْ كما شئنا، لأن
 الكائنَ البشريّ لم يُوجدْ؟
 فلا سِفَّةً وفَنّانَونَ مَرُّوا من هناك ...
 ودوّن الشعراءُ يومياتِ أزهارِ البنفسج
 ثم مروا من هناك... وصدّق الفقراءُ
 أخباراً عن الفردوس وانتظروا هناك ...
 وجاء آلهةُ لإنقاذ الطبيعة من أُلُوهُيِّينا
 ومَرُّوا من هناك. وليس للتاريخ
 وَقْتُ للتأمل، ليس للتاريخ مرآة

وَوَجْهٌ سَافِرٌ. هُوَ وَاقِعٌ لَا وَاقِعِيٌّ
أَوْ خِيَالٌ لَا خِيَالِيٌّ، فَلَا تَكْتُبْهُ.
لَا تَكْتُبْهُ، لَا تَكْتُبْهُ شِعْرًا!

مختبرات
الكتاب
العاشد

مختبرات
الكمبيوتر
العاشر

ماذا سيبقى؟

ماذا سَيَبْقَى من هِبات الغيمة البيضاء؟
- زَهْرَةٌ يَلْسَانُ

ماذا سيبقى من رَدَاذِ الموجة الزرقاء؟
- إِيْقَاعُ الزَّمَانِ

ماذا سيبقى من نَزيفِ الفكرة الخضراء؟
- مَاءٌ فِي عُرُوقِ السَّنْدِيَانِ

ماذا سيبقى من دُمُوعِ الحُبِّ؟
- وَشْمٌ نَاعِمٌ فِي الْأَرْجَوَانِ

ماذا سيبقى من غُبَارِ البحث عن معنى؟
- طَرِيقُ الْعَنْفَوَانِ

ماذا سيبقى من طَرِيقِ الرحلة الكبرى
إِلَى الْمَجْهُولِ؟

- أُغْنِيَةُ المُسَافِرِ لِلْحَصَانِ
- ماذا سيبقى من سراب الحُلْمِ؟
- آثَارُ السَّمَاءِ عَلَى الْكَمَانِ
- ماذا سيبقى من لقاء الشيء باللاشيء؟
- إِحْسَاسُ الْأُلُوْهَةِ بِالْأَمَانِ
- ماذا سيبقى من كلام الشاعر العربي؟
- هَاوِيَةٌ ... وَخَيْطٌ مِنْ دُخَانٍ
- ماذا سيبقى من كلامِكَ أَنتَ؟
- نَسْيَانٌ ضَرُورِيٌّ لِمَذَاكِرَةِ الْمَكَانِ!

العاشرة

لا أعرف اسمك

- لا أعرف اسمك
- سَمِّنِي ما شئتَ
- لَسْتُ غَزَالَةً
- كلا. ولا فَرَساً
- وَلَسْتُ حَمَامَةً المنفى
- ولا حُورِيَّةً
- مَنْ أَنْتِ؟ ما اسمُكِ؟
- سَمِّنِي، لأكونَ ما سَمَّيْتَنِي
- لا أَسْتَطِيعُ، لأنَّني رِيحٌ
- وَأَنْتِ غَرِيبةٌ مثلي، وللأسماءِ أَرْضٌ ما
- إِذْنُ، أَنَا «لا أَحْذُ»

□ لا أعرف اسمك، ما اسمك؟

- اختاري من الأسماء أَقْرَبَهَا

إلى النسيان. سَمِّيني أَكُنْ في

أهل هذا الليل ما سَمَّيْتَنِي!

□ لا أستطيع لأنني امرأة مسافرة

على ريج. وأنت مسافر مثلي،

وللأسماء عائلة وَيَتُّ واضح

- فإذا، أنا «لا شيء» ...

قالت «لا أأخذ»:

سأعطي اسمك شهوة. جسدي

يلمك من جهاتك كلها. جسدي

يضمك من جهاتي كلها، لتكون شيئاً ما

ونمضي باحثين عن الحياة...

فقال «لا شيء»: أحياء جميلة

معك ... أحياء جميلة!

هي في المساء

هي في المساء وحيدة،
وأنا وحيدٌ مثلها...
بيني وبين شموعها في المطعم الشتوي
طاولتان فارغتان [لا شيء يعكّر صممتًا]
هي لا تراني، إذ أراها
حين تقطفُ وردةً من صدرها
وأنا كذلك لا أراها، إذ تراني
حين أرشفُ من نبيذٍ قُبْلَةً...
هي لا تُفكّتُ خبزها
وأنا كذلك لا أريقُ الماءَ
فوق الشُّرشف الورقي
[لا شيء يكدر صفوًا]

هي وَحدها، وأنا أَمَامَ جَمَالِها
وَحدي. لماذا لا تُوحِدُنَا الهَشَاشَةُ؟

قلت في نفسي -

لماذا لا أذوقُ نبيذَها؟

هي لا تراني، إذ أراها

حين ترفُحُ ساقَها عن ساقِها ...

وأنا كذلك لا أراها، إذ تراني

حين أخلُغُ معطفي ...

لا شيء يزعجها معي

لا شيء يزعجني، فنحن الآن

منسجمان في النسيان ...

كان عشاؤنا، كُلُّ على جِدَةٍ، شهياً

كان صَوْتُ الليل أزرَقَ

لم أكن وَحدي، ولا هي وحدها

كنا معاً نصغي إلى البلُّورِ

[لا شيء يُكسِّرُ ليلنا]

هِيَ لَا تَقُولُ:
الْحُبُّ يُوَلَّدُ كَائِنًا حَيًّا
وَيُؤَمِّسِي فِكْرَةً.
وَأَنَا كَذَلِكَ لَا أَقُولُ:
الْحُبُّ أَمْسَى فِكْرَةً
لَكِنَّهُ يَبْدُو كَذَلِكَ ...

حبيب العاشق

مختبرات
الكمبيوتر
العاشر

في الانتظار

في الانتظار، يُصَيِّتني هَوَسُ برصد
 الاحتمالات الكثيرة: رُبَّمَا نَسِيتُ حَقِيقَتَهَا
 الصغيرة في القطار، فضاء عنواني
 وضاع الهاتفُ المحمُولُ، فانقطعت شَهِيَّتُهَا
 وقالت: لا نصيبَ له من المطر الخفيفِ/
 ورُبَّمَا آنَسَعَلْتُ بأمرٍ طاريءٍ أو رحلةٍ
 نحو الجنوب لكي تزور الشمس، وآنَصَلْتُ
 ولكن لم تَجِدْنِي في الصباح، فقد
 خَرَجْتُ لأشتري غاردينيا لمسائنا وزجاجتين
 من النبيذِ/

وربما اختَلَفْتُ مع الزَّوْجِ القديمِ على
 شُؤُونِ الذِّكْرِيَّاتِ، فَأَقْسَمْتُ أَلَّا تَرَى

رجلاً يُهْدُّهَا بِصُنْعِ الذِّكْرِيَّاتِ /
 وَرُبَّمَا اصْطَلَمَتْ بِتَاكْسِي فِي الطَّرِيقِ
 إِلَيَّ، فَاَنْطَفَأَتْ كَوَاكِبُ فِي مَجْرَتِهَا.
 وَمَا زَالَتْ تُعَالِجُ بِالْمُهْدَى وَالنَّعَاسِ /
 وَرَبَّمَا نَظَرْتُ إِلَى الْمَرَاةِ قَبْلَ خُرُوجِهَا
 مِنْ نَفْسِهَا، وَتَحَسَّسْتُ أَجَاصَتَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ
 تُمَوِّجَانِ حَرِيرَهَا، فَتَنَهَّدْتُ وَتَرَدَّدْتُ:
 هَلْ يَسْتَحِقُّ أَنْوِثَتِي أَحَدٌ سِوَايَ /
 وَرَبَّمَا عَبَّرْتُ، مُصَادَفَةً، بِحُبِّ
 سَابِقِي لَمْ تَشْفَ مِنْهُ، فَرَأَفَقَتْهُ إِلَى
 الْعِشَاءِ /

وَرُبَّمَا مَاتَتْ،
 فَإِنَّ الْمَوْتَ يَعِشِقُ فَجَاءَةً، مِثْلِي،
 وَإِنَّ الْمَوْتَ، مِثْلِي، لَا يَحِبُّ الْإِنْتِظَارَ

لو كنتُ غيري

لو كُنتُ غيري في الطريق، لما التفتُ
إلى الوراء، لَقُلْتُ ما قال المسافرُ
للمسافرة الغريبة: يا غريبة! أيقظي
الجيتارَ أَكْثَرَ! أرجئي غَدنا ليمتدَّ الطريقُ
بنا، ويتَّسعَ الفضاءُ لنا، فننجد من
حكايتنا معاً: كَمْ أَنْتِ أَنْتِ.. وكم أنا
غيري أمامك ها هنا!

لو كُنتُ غيري لانتميتُ إلى الطريق،
فلن أعود ولن تعودِي. أيقظي الجيتار
كي نتحسَّسَ المجهولَ والجهةَ التي تُغوي
المسافرَ باختبار الجاذبية. ما أنا إلاّ

خُطَايَ، وَأَنْتَ بَوصلتي وهاويتي معاً.
لو كُنْتُ غَيْرِي فِي الطريق، لَكُنْتُ
أَخْفِيتُ العَوَاطِفَ فِي الحَقِيبَةِ، كَي
تَكُونَ قَصِيدَتِي مَائِيَّةً، شَفَافَةً، بِيضَاءً،
تَجْرِيدِيَّةً، وَخَفِيفَةً... أَقْوَى مِنَ الذِّكْرِ،
وَأَضْعَفَ مِنَ حُبِّيَّاتِ النَّدَى، وَلَقُلْتُ:
إِنَّ هُوَيْتِي هَذَا الْمَدَى!

لو كُنْتُ غَيْرِي فِي الطريق، لَقُلْتُ
لِلجِيتَار: دَرِّبْنِي عَلَى وَتَرٍ إِضَافِيٍّ!
فَإِنَّ الْبَيْتَ أَبْعَدُ، وَالطَّرِيقَ إِلَيْهِ أَجْمَلُ -
هَكَذَا سَتَقُولُ أُغْنِيَتِي الْجَدِيدَةَ - كَلِمَا
طَالَ الطَّرِيقَ تَجَدُّدَ الْمَعْنَى، وَصَرْتُ أَتْنِينَ
فِي هَذَا الطَّرِيقِ: أَنَا ... وَغَيْرِي!

شكراً لتونس

شكراً لتونس. أَرْجَعْتُ سَلاماً من
 حُبِّها، فبكِيتُ بين نسائها في المسرح
 البلديّ حين تملّص المعنى من الكلمات.
 كُنْتُ أودُّغ الصيفَ الأخيرَ كما يودُّغ
 شاعرٌ أغنيةً غَزَلِيَّةً: ماذا سأكتبُ
 بعدها لحبيبةٍ أخرى ... إذا أُحِبْتُ؟
 في لُغتي دَوَّارُ البحر. في لغتي رحيلٌ
 غامضٌ من صُور. لا قرطاج تكبُّه، ولا
 ريحُ البرابرة الجنوبيّين. جئتُ على
 وتيرة نَوْرَس، ونَصَبْتُ خيمتي الجديدةَ
 فوق مُنَحْدَرِ سَماويّ. سأكتبُ ههنا فصلاً
 جديداً في مديح البحر: أُسْطُورِيَّةٌ

لغتي، وقلبي مَوْجَةٌ زرقاءُ تخذشُ
 صخرةً: «لا تُغطني، يا بحر، ما
 لا أستحقُّ من النشيد. ولا تكن
 يا، بحر، أكثرَ أو أقلَّ من النشيد!» ...
 تطيرُ بي لُغتي إلى مجهولنا الأبدِي،
 خلف الحاضر المكسور من جهَتَيْنِ: إنْ
 تنظرُ وراءك تُوقِظُ سَدُومَ المكان على
 خطيئتيه... وإن تنظرُ أمامكَ توقِظُ
 التاريخ، فاحذرْ لَدَغَةَ الجهتين... واتبعني.
 أقول لها: سأمكُثُ عند تونس بين
 مَنزِلَتَيْنِ: لا بيتي هنا بيتي، ولا
 منفاي كالمنفى. وها أنذا أُودَّعُها،
 فيجرحني هواءُ البحر ... مسكُ الليل يجرحني،
 وعَقْدُ الياسمين على كلام الناس يجرحني،
 ويجرحني التأملُ في الطريق اللولبي إلى ضواحي
 الأندلس ...

لي مقعد في المسرح المهجور

لِي مِقْعَدٌ فِي الْمَسْرَحِ الْمَهْجُورِ فِي
بِيروَت. قَدْ أَنْسَى، وَقَدْ أَتَذَكَّرُ
الْفَصْلَ الْأَخِيرَ بِلَا حَنِينٍ ... لَا لشيءٍ
بَلْ لِأَنَّ الْمَسْرَحِيَّةَ لَمْ تَكُنْ مَكْتُوبَةً
بِمَهَارَةٍ ...

فَوْضَى

كِيومِيَّاتِ حَرْبِ الْيَائِسِينَ، وَسِيرَةٍ ذَاتِيَّةٍ
لِغَرَائِزِ الْمُتَفَرِّجِينَ. مُمَثِّلُونَ يُمَزَّقُونَ نُصُوصَهُمْ
وَيَفْتَشُونَ عَنِ الْمُؤَلِّفِ بَيْنَنَا، نَحْنُ الشُّهُودَ
الْجَالِسِينَ عَلَى مَقَاعِدِنَا.
أَقُولُ لِجَارِيِ الْفَتَانِ: لَا تُشْهَرِ سِلَاحَكَ،
وَانْتَظِرْ، إِلَّا إِذَا كُنْتُ الْمُؤَلِّفَ!

- لا

ويسألني: وهل أنت المؤلف؟

- لا.

ونجلس خائفين. أقول: كُنْ بَطْلًا

حياديًا لتنجو من مصير واضح

فيقول: لا بَطْلٌ يموت مُبَجَّلًا في المشهد

الثاني. سأنتظر البقية. ربما أُجريت

تعديلاً على أحد الفصول. وربما أصلحت

ما صَنَعَ الحديدُ ياخوتي

فأقول: أَنْتَ إِذَا؟

يردُّ: أنا وَأَنْتَ مؤلِّفان مُقَنَّعان وشاهدان

مُقَنَّعان.

أقول: ما شأني؟ أنا متفرِّجٌ

فيقول: لا متفرِّجٌ في باب هاوية ... ولا

أحدٌ حياديّ هنا. وعليك أن تختار

دورك في النهاية

فأقول: تنقصني البداية، ما البداية؟

45

في الشام

في الشام، أَعْرِفُ مَنْ أَنَا وَسَطَ الزَّحَامِ.
 يَدُلُّنِي قَمَرٌ تَلَالُأً فِي يَدِ أَمْرَأَةٍ... عَلَيَّ.
 يَدُلُّنِي حَجَرٌ تَوَضَّأَ فِي دُمُوعِ الْيَاسْمِينَةِ
 ثُمَّ نَامَ. يَدُلُّنِي بَرْدَى الْفَقِيرِ كَغِيمَةٍ
 مَكْسُورَةٍ. وَيَدُلُّنِي شِعْرٌ فُرُوسِيٍّ عَلَيَّ:
 هُنَاكَ عِنْدَ نَهَايَةِ النِّفْقِ الطَّوِيلِ مُخَاصِرٌ
 مِثْلِي سَيُوقِدُ شَمْعَةً، مِنْ جِرْحِهِ، لَتَرَاهُ
 يَنْفَضُّ عَنْ عِبَاءَتِهِ الظَّلَامِ. تَدُلُّنِي رَيْحَانَةٌ
 أُرَخْتُ جَدَائِلَهَا عَلَى الْمَوْتِ وَدَفَّاتِ الرِّخَامِ.
 «هَنَا يَكُونُ الْمَوْتُ حُبًّا نَائِمًا» وَيَدُلُّنِي
 الشُّعْرَاءُ، عُذْرِيَّينَ كَانُوا أَمْ لِإِبَاحِيَّينَ،
 صُوفِيَّينَ كَانُوا أَمْ زَنَادِقَةً،

علي: إذا

أَخْتَلَفْتُ عَرَفْتَ نَفْسَكَ، فَاخْتَلَفْتُ تَجِدُ
الْكَلَامَ عَلَى زَهْوَرِ اللُّوزِ شَفَافًا، وَيُقَرِّثُكَ
السَّمَاوِيُّ السَّلَامَ. أَنَا أَنَا فِي الشَّامِ،
لَا شَبَّهِي وَلَا شَبَّحِي. أَنَا وَغَدِي يَدًا
بِيَدٍ نُرْفِرُ فِي جَنَاحِي طَائِرٍ. فِي الشَّامِ
أَمْشِي نَائِمًا، وَأَنَامُ فِي حِضْنِ الْغَزَالَةِ
مَاشِيًا. لَا فَرْقَ بَيْنَ نَهَارِهَا وَاللَّيْلِ
إِلَّا بَعْضُ أَشْغَالِ الْحَمَامِ. هُنَاكَ أَرْضُ
الْحُلُمِ عَالِيَةً، وَلَكِنَّ السَّمَاءَ تَسِيرُ عَارِيَّةً
وَتَسْكُنُ بَيْنَ أَهْلِ الشَّامِ ...

في مصر

في مصر، لا تتشابهُ الساعات ...
 كلُّ دقيقةٍ ذكرى تجددُها طيورُ النيل.
 كُنتُ هناك. كان الكائنُ البشريُّ يبتكرُ
 الإله/ الشمس. لا أحدٌ يُسمِّي نفسه
 أحداً. «أنا أبْنُ النيل - هذا الاسم
 يكفيني». ومنذ اللحظة الأولى تُسمِّي
 نفسك «ابن النيل» كي تتجنَّب العدم
 الثقيل. هناك أحياءٌ وموتى يقطفون
 معاً غيومَ القُطْن من أرض الصعيد،
 ويزرعون القمحَ في الدلتا. وبين الحَيِّ
 والمَيِّت الذي فيه تناوُب حارسين على
 الدفاع عن النخيل. وكلُّ شيء عاطفيٌّ

فيك، إذ تمشي على أطراف روحك في
دهاليز الزمان، كأنَّ أُمَّكَ مِصْرَ
قد وَلَدَتْكَ زَهْرَةَ لُوتِس، قبل الولادة،
هل عرفت الآنَ نَفْسَكَ؟ مِصْرُ تجلسُ
خَلْسَةً مَعَ نَفْسِهَا: «لا شيء يشبهني».
وترفو معطفَ الأبدية المثقوب من
إحدى جهات الريح. كُنْتُ هناك. كان
الكائنُ البشريُّ يكتبُ حكمة الموت / الحياة.
وكلُّ شيء عاطفيٍّ، مُقْمِرٌ ... إلَّا القصيدة
في التفاتتها إلى غدها تُفَكِّرُ بالخلود،
ولا تقول سوى هشاشتها أمام النيل...

أتذكر السيّاب

أتذكّر السيّاب، يصرّخ في الخليج سُدى:
«عراق، عراق، ليس سوى العراق...»
ولا يردّ سوى الصدى.
أتذكّر السيّاب، في هذا الفضاء السومريّ
تغلّبت أنثى على عُقم السديم
وأورثتنا الأرض والمنفى معاً
أتذكّر السيّاب... إن الشّعْر يُولّد في العراق
فكُنْ عراقياً لتصبح شاعراً يا صاحبي!
أتذكّر السيّاب، لم يَجِدِ الحياةَ كما
تخيّل بين دجلة والفرات، فلم يفكر
مثل جليجامش بأعشاب الخلود،
ولم يُفكّر بالقيامة بعدها...

أَتَذَكُّرُ السَّيَّابَ، يَأْخُذُ عَنْ حَمُورَائِي
 الشَّرَائِعَ كَيْ يُعْطِي سَوْءَةً،
 وَيَسِيرُ نَحْوَ ضَرِيحِهِ مَتَصَوِّفًا.
 أَتَذَكُّرُ السَّيَّابَ، حِينَ أَصَابُ بِالْحُمَى
 وَأَهْذِي: إِخْوَتِي كَانُوا يُعَدُّونَ الْعَشَاءَ
 لَجَيْشٍ هَوْلَاكُو، وَلَا خَدَمَ سِوَاهُمْ ... إِخْوَتِي!
 أَتَذَكُّرُ السَّيَّابَ، لَمْ نَحْلُمْ بِمَا لَا
 يَسْتَحِقُّ التَّحُلُّ مِنْ قُوَّةٍ. وَلَمْ نَحْلَمْ
 بِأَكْثَرِ مِنْ يَدَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ تَصَافِحَانِ غِيَابَنَا.
 أَتَذَكُّرُ السَّيَّابَ. حَدَّادُونَ مَوْتِي يَنْهَضُونَ
 مِنَ الْقُبُورِ وَيَصْنَعُونَ قِيُودَنَا.
 أَتَذَكُّرُ السَّيَّابَ. إِنَّ الشَّعْرَ تَجْرِبَةٌ وَمَنْفَى
 تَوَاقُنٍ. وَنَحْنُ لَمْ نَحْلُمْ بِأَكْثَرِ مِنْ
 حَيَاةٍ كَالْحَيَاةِ، وَأَنْ نَمُوتَ عَلَى طَرِيقَتِنَا
 «عِرَاقُ»
 «عِرَاقُ»
 «لَيْسَ سِوَى الْعِرَاقِ ...»

منتديات
الكوكب
العاشق

II

طريق الساحل

مختبرات
الكمبيوتر
العاشر

طريق يُؤدِّي إلى مصرَ والشام
[قلبي يرنُّ من الجهتين]
طريقُ المسافر من ... وإلى نفسه
[بجسدي ريشةً والمدى طائر]
طريقُ الصواب ... طريقُ الخطأ
[لعلِّي أخطأتُ، لكنها التجربة]
طريقُ الصعود إلى سُرُفات السماء
[وأعلى وأعلى، وأبعد]
طريقُ النزول إلى أوَّل الأرض
[إنَّ السماء رمادية]
طريق التأمل في الحب
[فالحبُّ قد يجعلُ الذئبَ نادلاً مقهى]

طريقُ السنونو ورائحةُ البرتقال على البحرِ
[إنَّ الحنينَ هُوَ الرائحةُ]

طريقُ التَّوَابِلِ والملحِ والقمحِ
[والحربِ أيضاً]

طريقُ السلامِ المُتَوَجِّعِ بالقُدْسِ
[بعد انتهاء الحروب صليبيَّةِ الأفعنة]

طريقُ التجارة والأبجدية، والحالمينِ
[بتأليف سيرة زَغَلَّة]

طريقُ غُزاةٍ يريدون ترميمَ تاريخهم
[بغِد مُودَعٍ في البنوك]

طريقُ التَّحَرُّشِ بالميثولوجيا
[فقد تَسْتَجِيبُ إلى التكنولوجيا]

طريقُ التخلِّي، قليلاً، عن الإيديولوجيا
[لمصلحةِ العَوْلَمَةِ]

طريقُ الصراع على أيّ شيء

[ولو كان جنسُ الملاك]

طريقُ الوفاق على كلّ شيء

[ولو كان أنثى الحجر]

طريقُ الإخاء المُخاتِلِ

[بين الغزالِ وصيادِهِ]

طريقُ يدلُّ على الشيء أو عكسه

[لفرط التشابُه بين الكِنَايَةِ والاستعارة]

طريقُ الخيول التي صرَّعتُها المسافات

[والطائرات ...]

طريقُ البريد القديم المُسجَّل

[كُلُّ الرسائل مُودَّعةٌ في خزائن قيصِر]

طريقُ يطول ويقصُرُ

[وَفَقَّ مزاج أبي الطَّيِّب المُتَنَبِّي]

طريقُ الإلهاتِ مُتَحَنِيَاتِ الظُّهُورِ

[كرايات جيشٍ تَقْهَقُرُ]

طريقُ فتاةٍ تُظَلِّلُ عانتها بالفراشةِ

[فاللأزَّوَرْدُ يُجَرِّدُها من ملابسها]

طريقُ الذين يُحَيِّرُهُمْ وَصَفُ زهرةٍ لوزٍ

[لأنَّ الكشافةَ شَفَّافَةٌ]

طريقُ طويلٍ بلا أنبياء

[فقد آثروا الطُّرُقَ الوَعِرَةَ]

طريقُ يُوَدِّي إلى طَلَلِ البيتِ

[تحت حديقة مُسْتَوْطِنَةٍ]

طريقُ يَسُدُّ عليَّ الطريق

فيصرخُ بي شَبَّحي:

إنَّ

أردتُ

الوصولَ

إلى
نفسك الجامعة
فلا
تُشَلِّك
الطُّرُقَ الواضحة!

مختبرات
الكمبيوتر
العاشر

منتديات
الكويت
العاشرة

III

لا كما يفعل السائح الأجنبي

مختبرات
الكمبيوتر
عبد العاشق

مَشَيْتُ عَلَى مَا تَبَقَّى مِنَ الْقَلْبِ،
صَوَّبَ الشَّمَال ...
ثَلَاثُ كَنَائِسَ مَهْجُورَةٍ،
سَنَدِيَانِ عَلَى الْجَانِبَيْنِ،
قُرِئَ كَنْقَاطٌ عَلَى أَحْرُفِ مُجِيثٍ،
وَفَتَاةٌ عَلَى الْعُشْبِ تَقْرَأُ مَا
يُشْبِهُ الشَّعْرَ: لَوْ كُنْتُ أَكْبَرَ،
لَوْ كُنْتُ أَكْبَرَ، لَامْتَسَلَمَ الذُّئْبُ لِي!

... لَمْ أَكُنْ عَاطِفِيًّا، وَلَا «دُونْ جَوَان»
فَلَمْ أَتَمَدَّدْ عَلَى الْعُشْبِ، لَكِنِّي
قُلْتُ فِي السَّرِّ: لَوْ كُنْتُ أَصْغَرَ

لو كنتُ أصغرَ عشرين عاماً
لشاركتُها الماءَ والسندويشات،
وعلمْتُها كيف تلمسُ قوس قزح

مَشَيْتُ، كما يفعل السائح الأجنبي ...
معي كاميرا، ودليلي كتابٌ صغيرٌ
يضمُّ قصائدَ في وصفِ هذا المكانِ
لأكثَرَ من شاعرٍ أجنبيٍّ،
أحسُّ بأنني أنا المتكلِّم فيها
ولولا الفوارقُ بين القوافي لقلتُ:
أنا آخري

... كنت أتبعُ وصف المكان. هنا
شَجَرٌ زائدٌ، وهنا قمرٌ ناقصٌ
وكما في القصائد: ينبثُ عشبٌ
على حَجَرٍ يتوجع. لا هُوَ حُلُمٌ
ولا هُوَ رمزٌ يدلُّ على طائرٍ وطنيٍّ،

ولكنه غيمةٌ أينعتُ...
خطوة، خطوتان، ثلاث ... وَجَدْتُ الربيعَ
قصيراً على المَشْمُشِيَّات. ما كِدْتُ أَرْنُو
إلى زَهْرَةِ اللوز حتى تَنَازَلَتْ ما بَيْنَ
غَمَّازَتَيْنِ. مَشَيْتُ لِأَتَبَعَ ما تَرَكَهُ الطيورُ
الصغيرةُ من نَمَشٍ في القِصَائِدِ/

ثُمَّ تَسَاءَلْتُ: كيف يصير المكانُ
أَنعْكَاساً لصورَتِهِ في الأساطيرِ،
أو صِفَةً من صفاتِ الكلامِ؟
وهل صورةُ الشيءِ أقوى
من الشيءِ؟
لولا مخيِّلتي قال لي آخري:
أَنْتَ لَسْتَ هنا!

لم أكن واقعياً. ولكنتي لا

أُصدِّقُ تاريخَ «إلياذة» العسكري،
هُوَ الشَّعْرُ، أُسطورةٌ خَلَقْتَ واقعاً...
وتساءلتُ: لو كانتِ الكاميرا والصحافةُ
شاهدةً فوق أسوار طروادة الآسيوية،
هل كان «هومير» يكتبُ غيرَ الأوديسة؟/

... أُمِسِكُ هذا الهواءَ الشهيءَ،
هواءَ الجليل، بكلتا يديَّ
وَأَمْضَعُهُ مثلما يَمْضَعُ الماعزُ الجبليَّ
أَعالي الشُّجيراتِ،
أَمْشي، أَعْرِفُ نفسي إلى نفسها:
أَنْتِ، يا نفسُ، إحدى صفاتِ المكانِ

ثلاثُ كنائسٍ مهجورةٌ
مآذُنُ مكسورةٌ،

سنديانٌ على الجانبين،
قُرئَ كَنَقَاطٍ على أَحْرَافِ مُحَيِّثٍ،
وفتاةٌ على العشب تسأل طيفاً:
لماذا كبرت ولم تنتظرنني
يقول لهما: لم أكن حاضراً
عندما ضاق ثوب الحرير بثَفَاحَتَيْنِ.
فغني، كما كنتِ قبل قليل، تُغَنِّين:
لو كُنْتُ أكبر، لو كنتُ أكبر... /

أما أنا، فسأدخلُ في شجر التوتِ
حيث تُحوِّلُنِي دُودَةُ القَزِّ خَيْطَ حريرٍ،
فأدخلُ في إبرة امرأةٍ من
نساء الأساطير،
ثم أطيّر كشالٍ مع الريح...

مختبرات
الكمبيوتر
العاشر

IV

بيت من الشعر/
بيتُ الجنوي

مختبرات
الكويت
العاشر

[في ذكرى أمل دنقل]

واقفاً مَعَهُ تحت نافذة،
أتأملُ وَشَمَ الظلال على
ضفّة الأبدية، قُلْتُ له:
قد تغيّرتَ يا صاحبي وَانْفَطَرَتْ
فها هي دراجة الموت تدنو
ولكنها لا تحركُ صرختك الخاطفة

□

قال لي: عِشْتُ قرب حياتي
كما هي،

لا شيء يُثبِتُ أَنِّي حيٌّ
ولا شيء يثبتُ أَنِّي ميتٌ

ولم أَدْخُلْ بما تفعلُ الطيرُ بي
وبما يحْمِلُ الليلُ مِنْ
مَرَضِ العاطفةِ



أَلْغِيَابُ يَرْفُ كَرْوَجِي حَمَامٍ عَلَى النِيلِ...
يُنْبِتُنَا بِاخْتِلَافِ الْخُطَى حَوْلَ فِعْلِ الْمُضَارِعِ...
كُنَّا مَعًا، وَعَلَى جِدَّةٍ، نَسْتَحِثُّ غَدًا
غَامِضًا. لَا نَرِيدُ مِنَ الشَّيْءِ إِلَّا
شَفَافِيَّةَ الشَّيْءِ: حَدِّقْ تَرَّ الْوَرْدِ
أَسْوَدَ فِي الضَّوْءِ. وَأَحْلُمْ تَرَّ الضَّوْءِ
فِي الْعَتَمَةِ الْوَارِفَةِ ...



أَلْجَنُوبِيَّ يَحْفَظُ دَرْبَ الصَّعَالِيكِ عَنْ
ظَهْرِ قَلْبٍ. وَيُشَبِّهُهُمْ فِي سَلِيْقَتِهِمْ
وَارْتِجَالِ الْمَدَى. لَا «هَنَّاك» لَهُ،

لا «هنا»، لا عناوين للفوضوي
ولا مشجب للكلام. يقول: النظام
احتكام الصدى للصدى. وأنا صوت
نفسي المشاع: أنا هو أنت ونحن أنا.
وينام على دَرَج الفجر: هذا هو
البيت، بيت من الشعر، بيت الجنوبي.
لكنه صارم في نظام قصيدته. صانع
بارع يُنقِذ الوزن من صَحَب العاصفة

□

ألغيا ب على حاله. قَمَرٌ عابر فوق
خُوفٍ يُذهِبُ سَقْفَ النخيل. وسائحة
تملأ الكاميرا بالغياب، وتَسأل: ما
الساعة الآن؟ قال لها: الساعة
الآن عَشْرُ دقائق ما بعد سبعة

آلاف عامٍ من الأبدية. ثم تنهّد:
مِصْرُ الشهية، مِصْرُ البهية مشغولة
بالخلود. وأما أنا ... فمريضٌ بها، لا
أفكرُ إلا بصحتها، وبكسرة خبز
غدي الناشفة



شاعرٌ، شاعرٌ من سُلالة أهل
الחסارة، وآبنٌ وفي لريف المساكين.
قرأته عربيّ، ومزمورهُ عربيّ، وقُرْبائهُ
عربيّ. وفي قلبه زَمَنانِ غريبان،
يبتعدان ويقتربان: غدٌ لا يكفُ
عن الاعتذار: «نسيّتك، لا تنتظرني».
وأمسٍ يجرُّ مراكبَ فرعونَ نحو الشمال:
«انتظرْتُك، لكن تأخرت». قُلْتُ لَهُ:

أَيْنَ كُنْتُ إِذَا؟ قَالَ لِي: كُنْتُ
أَبْحَثُ عَنْ حَاضِرِي فِي جَنَاحِي سُوءُ نَوَّةٍ
خَائِفَةٌ ...

□

الْجَنُوبِيُّ يَحْمِلُ تَارِيخَهُ بِيَدَيْهِ، كَحَفْنَةِ قَمْحٍ،
وَيَمْشِي عَلَى نَفْسِهِ وَاثِقاً مِنْ يَسُوعَ
السَّنَابِلِ. إِنَّ الْحَيَاةَ بَدِيعَةٌ... فَلِمَاذَا
نَفْسُهَا بِالْأَسَاطِيرِ؟ إِنَّ الْحَيَاةَ حَقِيقَةٌ
وَالصِّفَاتُ هِيَ الزَّائِفَةُ

□

قَالَ لِي فِي الطَّرِيقِ إِلَى لَيْلِهِ:
كُلَّمَا قُلْتُ: كَلَّا. تَجَلَّى لِي اللَّهُ
حَرِيَّةٌ ... وَبَلَغْتُ الرِّضَا الْبَاطِنِيَّ عَنْ
النَّفْسِ. قُلْتُ: وَهَلْ يُصْلِحُ الشَّعْرُ

ما أفسد الدهرُ فينا وجنكيزخان
وأحفادهُ العائدون إلى النهرِ؟
قال: على قَدْرِ حُلْمِكَ تَتَّسِعُ الأرضُ.
والأرضُ أُمُّ المَخَيَلَةِ النازفةُ

□

قال في آخر الليل: خذني إلى البيتِ،
بيتِ المجازِ الأخيرِ ...
فإني غريبٌ هنا يا غريبُ،
ولا شيءٌ يُفْرَحُنِي قَرَبَ بيتِ الحبيبِ
ولا شيءٌ يَجْرَحُنِي فِي «طريقِ الحبيبِ» البعيدِ
قلت: وماذا عن الروحِ؟
قال: سَتَجْلِسُ قُورَبَ حياتي
فلا شيءٌ يُثْبِتُ أَنِّي ميتٌ
ولا شيءٌ يثبِتُ أَنِّي حيٌّ

بيت من الشعر/ بيت الجوهري

ستحيا، كما هي
حائرة آسفة ...

منتديات
الكوكب
العاشد

مكتبة
الكتاب
العاشر

منتديات
الكويت
العاشرة

v

كحادثه غامضة

مختبرات
الكمبيوتر
العاشر

في دار پابلو نيرودا، على شاطئ
 الپاسفيك، تذكَرْتُ يانيس ريتسوس.
 كانت أَثينا ترْحُبُ بالقادمين من البحر،
 في مَسْرَحِ دائريٍّ مُضَاءٍ بصرخة ريتسوس:
 «آه فلسطين،

يا آسَمَ الترابِ،

ويا آسَمَ السماءِ،

سَتَنْتَصِرِينَ...»

وعانَقَنِي، ثُمَّ قَدَّمَنِي شاهراً شارة النصر:
 «هذا أخي».

فَشَعَرْتُ بِأني انتصرتُ، وأني انكسرتُ
 كقطعة ماسٍ، فلم يَبْقَ مِنِّي سوى الضوءُ/

□

في مطعم دافىء، نتبادلُ بَعْضَ الحنين
 إلى بَلَدَيْنَا القديمين، والذكرياتِ عن
 الغد: كانت أثينا القديمةُ أجملَ.
 أما يُّوسُ، فلن تتحمَّلَ أكثر. فالجنرال
 استعار قناعَ النبيِّ ليكي ويسرق
 دمعَ الضحايا: «عزيزي العَدُوُّ!
 قَتَلْتُكَ من دون قصيدٍ، عدوِّي العزيزُ،
 لأنَّكَ أزعجتَ دُبَّابتي»/



قال ريتسوس: لكنَّ اسبارطةَ انكسرتْ
 في مهبِّ الخيال الأثينيِّ. إنَّ الحقيقةَ
 والحقَّ صنوان ينتصران معاً. يا أخي
 في القصيدة! للشعر جسرٌ على
 أمسٍ والغد. قد يلتقي باعةُ السَّمَكِ

المُتَعَبُونَ مع الخارجين من الميثولوجيا.
وقد يشربون النبيذ معاً.

قلتُ: ما الشعْرُ؟ ... ما الشَّعْرُ في
آخر الأمر؟

قال: هو الحَدَثُ الغامضُ، الشعْرُ
يا صاحبي هو ذاك الحنينُ الذي لا
يُفسَّرُ، إذ يجعلُ الشيءَ طيفاً، وإذ
يجعلُ الطَّيْفَ شيئاً. ولكنه قد يُفسَّرُ
حاجَّتُنَا لاقتسامِ الجمالِ العُموميِّ... /



لا بحر في بيته في أثينا القديمة،
حيث الإلهات كنَّ يُدِرْنَ شؤون الحياة
مع البشر الطيبين، وحيث إلكترا الفتاة
تناجي إلكترا العجوزَ وتسألها: هل

أنا أنت حقاً؟



ولا لَيْلٌ في بيته الضيق المتَشَفِّفِ
فوق سطوح تطلُّ على الغابة المعدنيَّة.
لَوْحَاتُهُ كَالْقَصَائِدِ مَائِيَّةٌ، وعلى أرض
صالونه كُتِبَ رُصِفَتْ كَالْحَصَى الْمُتَنَقَّى.
قال لي: عندما يحرُّنُ الشعرُ أرسُمُ
فوق الحجارة بَعْضَ الفخاخ لصَيْدِ الْقَطَا.
قُلْتُ: من أين يأتي إلى صوتك
البحرُ، والبحر منشغلٌ عنك يا صاحبي؟
قال: من جهة الذكريات، وإن
كنت «لا أتذكر أنني كُنْتُ صغيراً».
وُلدت ولي أخوانٍ عَدُوَّانٍ:
سجني ودائي.

- وأين وَجَدْتَ الطُّفُولَةَ؟
- في داخلي العاطفي. أنا الطفلُ
والشيخ. طفلي يُعَلِّمُ شَيْخِي المجازَ.
وشَيْخِي يُعَلِّمُ طفلي التأمل في خارجي.
خارجي داخلي
كُلُّمَا ضاقَ سَجَنِي تَوَزَّعْتُ فِي الكُلِّ،
وَأَتَسَّعْتُ لَغْتِي مِثْلَ لُؤْلُؤَةٍ كُلُّمَا عَسَّعَسَ
الليل ضاءتْ/

□

وقلت: تَعَلَّمْتُ مِنْكَ الكثير. تَعَلَّمْتُ
كيف أَدْرُبُ نَفْسِي عَلَى الانشغال بِحُبِّ
الحياة، وكيف أُجَدِّفُ فِي الأَيْبُسِ
المتوسِّطِ بِحُثٍّ عَنِ الدَّرْبِ وَالبَيْتِ أَوْ
عَنْ ثُنَائِيَةِ الدَّرْبِ وَالبَيْتِ/

لم يَكْثَرَتْ لِلتَّحِيَّةِ. قَدَّمْ لِي قَهْوَةً.
ثم قال: سيرجِعُ أوديشكُم سالماً،
سوف يَرْجِعُ .../

□

في دار پابلو نيرودا، على شاطئ
الپاسفيك، تذكَّرْتُ يا نيس ريتسوس
في بيته. كان في ذلك الوقت يدخلُ
إحدى أساطيرِه، ويقول لإحدى الإلهات:
إنَّ كان لا بُدَّ من رحلة، فلتَكُنْ
رحلةً أبديةً!

منتديات
الكويت
العاشرة

VI

ليس للكردي إلا الريح

مختبرات
الكمبيوتر
العاشر

[إلى: سليم بركات]

يَتَذَكَّرُ الكرديُّ، حينَ أزوَرُهُ، عَدَهُ...
فَيُبْعِدُهُ بِمُكْنَسَةِ الْغُبَارِ: إِلَيْكَ عَنِّي!
فَالْجِبَالُ هِيَ الْجِبَالُ. وَيَشْرُبُ الْفُودَ كَمَا
لَكِي يُبْقِي الْخِيَالَ عَلَى الْحَيَاد: أَنَا
الْمَسَافِرُ فِي مَجَازِي، وَالْكَرَاكِي الشَّقِيَّةُ
إِنْخَوْتِي الْحَمَقَى. وَيَنْفُضُ عَنْ هُوِيَّتِهِ
الظَّلَالَ: هُوِيَّتِي لُغْتِي. أَنَا... وَأَنَا.
أَنَا لُغْتِي. أَنَا الْمُنْفَى فِي لُغْتِي.
وَقَلْبِي جَمْرَةُ الْكُرْدِيِّ فَوْقَ جِبَالِهِ الزَّرْقَاء.../

نَيَقُوشِيَا هَوَامِشُ فِي قَصِيدَتِهِ،

كُكِّلَ مَدِينَةُ أُخْرَى. عَلَى دَرَاجَةٍ
 حَمَلِ الْجِهَاتِ، وَقَالَ: أَشْكُرُ أَيُّمًا
 وَقَعْتُ بِي الْجَهَّةُ الْآخِرَةُ. هَكَذَا
 آخَتَارُ الْفَرَاغِ وَنَامَ. لَمْ يَحْلُمْ
 بِشَيْءٍ مُنْذُ حَلَّ الْجِرِّ فِي كَلِمَاتِهِ،
 [كَلِمَاتُهُ عَضَلَاتُهُ. عَضَلَاتُهُ كَلِمَاتُهُ]
 فَالْحَالُمُونَ يُقَدِّسُونَ الْأَمْسَ، أَوْ
 يَرْتُسُونَ بِوَابِ الْغَدِ الذَّهَبِيِّ ...
 لَا عَدَّ لِي وَلَا أَمْسٍ. الْهَيْئَةُ
 سَاحَتِي الْبَيْضَاءُ ... /

مَنْزَلُهُ نَظِيفٌ مِثْلُ عَيْنِ الدِّيكِ ...
 مَنْسِيٌّ كَخِيْمَةِ سَيِّدِ الْقَوْمِ الَّذِينَ
 تَبَعَثُوا كَالرِّيشِ. سَجَّادٌ مِنَ الصُّوفِ
 الْمَجْعَدِ. مُعْجَمٌ مُتَاكَلٌ. كُتِبَ مُجَلَّدَةٌ

على عَجَلٍ. مخدّات مطرّزة بإبرة
خادم المقهى. سكاكين مُجلّخة لذبح
الطير والخنزير. فيديو للإباحيات.
باقات من الشوك المُعادِل للبلاغة.
شُرْفَة مفتوحة للاستعارة: ها هنا
يَتَبَادَلُ الأتراك والإغريق أدوارَ
الشتائم. تلك تَسْلِيَتِي وتَسْلِيَةُ
الجنود الساهرين على حدود فُكاهة
سوداء .../

ليس مسافراً هذا المسافر، كيفما اتَّفَقَ ...
الشمال هو الجنوب، الشرق غَرْبٌ
في السراب. ولا حقائب للرياح،
ولا وظيفة للغبار. كأنه يُخفي
الحنينَ إلى سواه، فلا يُغْنِي ... لا

يُغْنِي حِينَ يَدْخُلُ ظِلُّهُ شَجَرُ الْأَكَاشِيَا،
أَوْ يَلُلُ شَعْرُهُ مَطَرٌ خَفِيفٌ ...
بَلْ يُنَاجِي الذُّئْبَ، يَسْأَلُهُ النِّزَالَ:
تَعَالِ يَا أَبْنَى الْكَلْبِ نَقْرَعُ طَبْلَ
هَذَا اللَّيْلِ حَتَّى نَوْقِظَ الْمَوْتَى. فَإِنَّ
الْكُرْدَ يَقْتَرِبُونَ مِنْ نَارِ الْحَقِيقَةِ،
ثُمَّ يَحْتَرِقُونَ مِثْلَ فَرَّاشَةِ الشُّعْرَاءِ/

يَعْرِفُ مَا يَرِيدُ مِنَ الْمَعَانِي. كُلُّهَا
عَبَثٌ. وَلِلْكَلِمَاتِ حِيلُهَا لَصِيدِ نَقِيزِهَا،
عَبَثًا. يَفْضُ بَكَارَةَ الْكَلِمَاتِ ثُمَّ يَعِيدُهَا
بِكُرًّا إِلَى قَامُوسِهِ. وَيَسُوسُ خَيْلَ
الْأَبْجَدِيَةِ كَالْخُرَافِ إِلَى مَكِيدَتِهِ، وَيَحْلُقُ
عَانَةً أَلْفَاظِهِ: انْتَقَمْتُ مِنَ الْغِيَابِ.

فَعَلْتُ ما فعل الضبابُ بإخوتي.
وَسَوَّيْتُ قلبي كالطريدة. لن أكون
كما أريد. ولن أحبُّ الأرض أكثر
أو أقلَّ من القصيدة. ليس
للكرديِّ إلا الريح تسكنه ويسكنها.
وتُذِمُّهُ ويُذَمُّهَا، لينجو من
صفات الأرض والأشياء ... /

كان يخاطب المجهول: يا أبني الحُرَّ!
يا كبش المتاهة السرمدي. إذا رأيت
أباك مشنوقاً فلا تُنْزِلْهُ عن حبل
السماء، ولا تُكَفِّنْهُ بقطن نشيدك
الرَّعْويِّ. لا تدفنه يا أبني، فالرياح
وصيَّةُ الكرديِّ للكرديِّ في منفاه،
يا أبني... والنسورُ كثيرةٌ حولي

وحولك في الأناضول الفسيح.
جنازتي سرية رمزية، فخذ الهباء
إلى مصائره، وجز سماءك الأولى
إلى قاموسك السحري. واحذر
لدغة الأمل الجريح، فإنه وحش
خرافي. وأنت الآن... أنت الآن
حر، يا ابن نفسك، أنت حر
من أيك ولعنة الأسماء.. /

باللغة انتصرت على الهوية،
قلت للكرد، باللغة انتقم
من الغياب
فقال: لن أمضي إلى الصحراء
قلت: ولا أنا ...

ليس للكردي إلاّ الريح

ونظرت نحو الريح/

- عَمَّتْ مساء

- عمت مساء!

منتديات
الكوكب
العاشق

مختبرات
الكمبيوتر
العاشر

صدر للشاعر

- أوراق الزيتون
- عاشق من فلسطين
- آخر الليل
- حبيبي تنهض من نومها
- العصافير تموت في الجليل
- أحبك، أو لا أحبك
- محاولة رقم ٧
- تلك صورتها، وهذا انتحار العاشق
- أعراس
- مديح الظل العالي
- حصار لمذائح البحر
- هي أغنية، هي أغنية
- ورد أقل

- مأساة النرجس، ملهاة الفضة
- أرى ما أريد
- أحد عشر كوكباً
- ديوان محمود درويش (جزآن)

مكتبات
الكتاب
العاشد

وعن «رياض الرئيس للكتب والنشر»

لماذا تركت الحصان وحيداً

الطبعة الأولى كانون الثاني / يناير ١٩٩٥

الطبعة الثانية أيلول / سبتمبر ١٩٩٥

الطبعة الثالثة شباط / فبراير ٢٠٠١

سرير الغريبة

الطبعة الأولى كانون الثاني / يناير ١٩٩٥

الطبعة الثانية شباط / فبراير ٢٠٠٠

جدارية

الطبعة الأولى حزيران / يونيو ٢٠٠٠

الطبعة الثانية شباط / فبراير ٢٠٠١

حالة حصار

الطبعة الأولى نيسان/ أبريل ٢٠٠٢

الطبعة الثانية حزيران/ يونيو ٢٠٠٢

مكتبات
الكويت
العاشر

محمود درويش لا تعتذر عما فعلت

«أمشي كأنني واحد غيري. وجرحي ورده
بعضاً إنجيلية. ويداي ممل حماتين
على الصليب فحلقتان وتحملان الأروع
لا أمشي، أطير. أصبح غري في
البحر. لا مكان ولا زمان لمن أنا»
أنا لا أنا في حضرة المعراج. لكني
أفكر: وحده، كان النبي محمد
يتكلم العربية الفصحى. وماذا بعد؟
ماذا بعد؟ ما حلت فجأة جديدة
عز انت ثانية؟ ألم أقلك؟
قلت قتلني. ونسيت. ملكك. ان موت «
من قصيدة «في القدس»

